ضوابط نقد العلماء والدعاة

في

ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

ضوابط نقد العلماء والدعاة

في

ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

تأليف

خالد بن محمد البحر جاسور

راجعها وقدم لها

فضيلة الشيخ الدكتور/ أحمد فريد

مقدمة الشيخ/ أحمد فريد

الحمد لله الذي رضي من عباده باليسير من العمل، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل، وأفاض عليهم النعمة، وكتب على نفسه الرحمة، وضَمَّنَ الكتاب الذي كتبه؛ أنَّ رحمته سبقت غضبه، دعا عبادَه إلى دار السلام، فعمهم بالدعوة حجة منه عليهم وعدلًا، وخصَّ بالهداية والتوفيق مَنْ شاء نعمة ومنةً وفضلًا، فهذا عدله وحكمته وهو العزيز الحكيم، وذلك فضله يُؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وأشهد أنْ لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة عبده وابن عبده وابن أمته، ومَنْ لا غنى به طرفة عين عن فضله ورحمته، ولا مطمع له في الفوز بالجنة والنجاة من النار إلا بعفوه ومغفرته، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، وصفيُه وخليله، أرسله رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، ومحجة للسالكين، وحجة على العباد أجمعين، وقد ترك أمته على الواضحة الغراء، والمحجة البيضاء، وسلك أصحابُه وأتباعُه على أثره إلى جَنَّاتِ

النعيم، وعدل الراغبون عن هديه إلى صراط الجحيم، ليهلك مَنْ هلك عن بينة، ويحيى مَنْ حييَّ عن بينة، وإنَّ الله لسميع عليم، فصلى اللهُ وملائكتُه وجميعُ عبادهِ الصالحين عليه، كما وَحَّدّ الله عز وجل وعرَّفنا به ودعا إليه، وسلم تسليمًا.

أما بعدُ،،،

فإنَّ الدعوة إلى الله -عز وجل- هي أشرف وظيفة يمكن أن يتوظف فيها العبدُ، لأنها وظيفة الأنبياء والمرسلين الذين اختصهم الله عز وجل بهذا الفضل المبين.

قال سفيانُ الثوري: أشرفُ الناس منزلة مَنْ كان بين الله وبين عباده وهم الأنبياء والعلماء.

ولكن ليس كلُ أحدٍ يتصدى لهذه المهمة العظيمة، مهمة الرسل، والداعون بدعوة الرسل، فلابد أن يكون العبدُ أهلًا لذلك، ومَنْ تصدر قبل أوانه فقد تصدى لهوانه.

وإذا تصدر الحدث فاته خيرٌ كثير.

وإنَّ من نعمة الله على الشاب إذا نَسُكَ أنْ يُوفَّق لصاحب سنة يحمله عليها.

وإنَّ كثيرًا من الدعاة على الساحة الإسلامية وفي عصر الفضائيات والشبكة العنكبوتية لم يحصِّلوا القدر الواجب من العلوم الشرعية، ولا أكون مبالغًا إذا قلتُ لم يعرفوا بديهيات الإسلام، والمعلوم من الدين بالضرورةِ ككفر إبليس مثلًا، كما أشار إلى ذلك أخونا الفاضل صاحبُ الرسالة التي أقدمُ لها، وقد يكون صادق اللهجة مخلصًا وله جمهورٌ غفيرٌ، وهذا لا يكفي للتصدى لمهمة الدعوة، لا بد من العلم والبصيرة، وسلامة العقيدة والمنهج، ولا بد أن يجلس عند أقدام العلماء، ومَنْ لم يذق طعمَ المذلة ساعة قطع الزمان بأسره مذلولًا.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ذللتُ طالبًا فعززتُ مطلوبًا.

وهؤلاء الذين تصدروا للدعوة أغلب ظني أنهم لم يُوفقوا العالم من علماء السنة يحملهم عليها، ولم يُواصلوا الليلَ بالنهار في طلب العلم النافع، كما كان بعضُهم يقول: مع المصباح إلى الصباح.

والعلمُ لا يعطيك بعضَه حتى تعطيه كُلك، وقد أحسن أخي الحبيب الشيخ/ خالد في عدم إفصاحه عن اسم الداعية الذي بيّن بطلانَ بعض كلماته، فإن الستر على المسلمين واجبٌ، وهذا يدلُ على أنه أراد النصيحة لا الفضيحة فجزاه اللهُ خيرًا، وقبل أن ينكر هذه الكلمات المُنكَرة، قدم بعدة مقدمات في وجوب التثبت، وأنَّ مِنْ أصول أهل السنة أنَّ المسلم قد يُحَبُّ مِنْ جانبٍ ويُبغض مِنْ جانب، كما بين بعضَ مقومات الداعية، وأخونا خالد البحر صاحب الرسالة ممن فتح عينيه على الدعوة السلفية المباركة بالإسكندرية قلعة السلفية، فأسألُ الله تعالى أن يباركَ في وقته وقلمه ولسانه، وأن ينفع به وأن يفتح به، وصلى الله وسلم وبارك على محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ، وآخر دعوانا أنْ الحمد لله رب العالمين.

كتبه

د/ أحمد فريد

٢٥ صفر ١٤٣٠ هـ

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاة والسلامُ على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آلهِ وصحبه أجمعين، وَمَنْ سار على دربه ونهجه إلى يوم الدين، أما بعد:

فالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى أمانة عظمى، لا يتحملها ويقومُ بها إلاّ مَنْ وفقه المولى تبارك تعالى لذلك، حتى يكون من أحسن الناس عند الله -جل وعلا- قولًا وعملًا قال سبحانه تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت :٣٣].

قال الحسنُ البصري رحمة الله تعالى عليه: «هذا حبيبُ الله، هذا ولي الله، هذا صفوةُ الله، هذا خِيرةُ الله، هذا أَحَبُّ أهلِ الأرضِ إلىَ الله في دعوته، ودعَا النَّاسَ إلَى ما أجابَ اللهَ فيه مِنْ دَعْوتهِ، وعَمِلَ صالحًا في إجابته، وقال إنَّني مِنَ المسلمين هذا خليفة الله»[1] اهـ

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٢٠).

وقد قال المصطفى ﷺ: «**من دلَّ على خيرٍ، فله مثل أجر فاعله**»(١). وقال صلواتُ ربي وسلامُه عليه: «**مَنْ دعا إلى هُدىً، كان له من الأجر مثل أجور من تبعَهُ، لا يَنقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالةٍ، كان عليه من الإثم، مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**»(٢).

وقال عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم لأبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «.... **فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حمر النعم**»(٣).

والدعوة إلى سبيل الله تعالى غير محدودة بزمان ولا مكان فبالإمكان الدعوة ليلاً ونهاراً في أيّة ساعة، في البر والبحر وفي جو السماء.

---

(١) أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه.

(٢) أخرجه مسلم وأحمد وأصحاب السنن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

قال سماحةُ الشيخ عبد العزيز بن باز رحمة الله تعالى عليه: «...يتضحُ لكل طالب علم أنَّ الدعوة إلى الله من أهم المهمات، وأنَّ الأمة في كل مكان وزمان في أشد الحاجة إليها، بل في أشد الضرورة إلى ذلك»[١].

ولذا فإنني أتمنى أن يقوم بهذه الأمانة كُل قادر على التشرف بحملها كلٌ على قدْر وحَسْبِ استطاعته العلمية والعملية.

فالدعوة ليست محدودة بأشخاص معينين فقط بل (كلنا دعاة) !! قال ﷺ: «**بلغوا عنّي ولو آية**»[٢].

وقبل هذا وذاك قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

---

(١) «مجموع فتاوى ومقالات» (١/ ٣٣٣).

(٢) أخرجه البخاري وغيره من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

ولذلك كانت النصيحةُ والأمرُ بالمعروفِ والنهي عن المنكر أمورًا مشروعة في هذا الدين، وذلك حتى يُقوِّم المؤمنون بعضهم البعض، ويقوِّموا غيرَهم ممن يُخالف كتابَ الله وسنة رسولهِ ﷺ. فالإنسان بطبيعته مُعرضٌ للوقوع في الخطأ، قال ﷺ: «**كُلُّ بني آدمَ خطاءٌ، وخيرُ الخطائين التوَّابُون**»(١).

فخيرُ الخطائين هم التوابون والرجاعون إلى الحق الجلي الواضح.

سبب اختيار الموضوع:

١- حديثُ أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**الدِّينُ النصيحة**»، قلنا: لمن؟ قال: «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث أنس رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني رحمة الله تعالى عليه في «صحيح الجامع» (٢/ ٨٣١) حديث رقم [٤٥١٥].

(٢) أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي.

٢- حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: بايعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصَّلاة وإيتاءِ الزكاةِ والنُّصحِ لكل مُسلم[1].

٣- أهمية النقد حيث عن طريقه مع صدق النية وصلاحها يتم تصحيح الأخطاء.

٤- تفعيل النقد البنَّاء وإحياء دوره لما يترتب عليه من آثار حميدة على المجتمع.

٥- عدم الفهم الصحيح لمصطلح النقد عند الكثيرين حيث انتشر بينهم أنَّ النقد تصيدٌ للأخطاء وإظهارٌ للعيوب والزلات، مما ساهم بصورة مباشرة في اتساع دائرة النقد غير البناء بين أفراد المجتمع وخصوصًا بين الصالحين منهم.

٦- بيان خطورة هذا النوع من النقد على الدعوة، والتحذير منه ومحاولة تقديم العلاج الناجع لهذا النوع من النقد.

---

(١) متفق عليه.

تعريف النقد:

للنقد في اللغة العربية معانٍ عديدة، منها قولهم: [نَقَدَ الشيء نقدًا] بمعنى يميز جيده من رديئه.

ويقال: انتقد الشعر على قائله بمعنى أظهر عيبه(١).

فالنقدُ لغة يُطلقُ على معنيين:

(أ) المعنى الأول:

تمييز الجيد من الرديء، والحسن من القبيح، وهذا الذي يمكن أنْ نسميه النقد البنَّاء.

ويمكن تعريفه بأنه: بيان الأخطاء ومحاولة تقويمها.

(ب) المعنى الثاني:

العيبُ والتجريحُ، وهذا هو الذي يُمكنُ أنْ نسميه النقد غير البناء، أو النقد المذموم (بل هو نقضٌ ليس بنقدٍ).

---

(١) انظر: «المعجم الوسيط» أنيس ١٩٧٢ ص [٢٢٥].

حكم النقد:

النقدُ أيها القارئ الفاضل يمكن أن يكون نقدًا بنّاءً ممدوحًا، ويمكن أن يكون نقدًا غير بنّاءٍ فهو نقدٌ مذموم.

أما النقدُ البناءُ فهو مشروعٌ ويأخذ مشروعيته من أنه لا يخلو من إحدى أمور ثلاثة: فهو إما أن يكون:

١- نصيحة:

والنصيحة مأمور بها شرعًا، وقد ورد الحثُ على إبدائها وبذلها في أكثر من حديثٍ وقد تقدم ذكر بعضها.

٢- أو يكون النقدُ أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر:

وتعلمون أيضًا إخواني الأفاضل وأخواتي الفضليات الآيات والأحاديث الواردة في ذلك مثل: قول الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمانِ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ الله أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْ عنده، ثُمَّ لتدْعُنَّه فَلا يستجَيبُ لَكُمْ**»(١).

٣- *وقد يكون النقدُ داخلًا في محاسبة النفس:*

وهذا نوعٌ من أنواع النقد وهو ما يُسمى بالنقد الذاتي ومحاسبة النفس، ومشروعيته في مثل قول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ ﴾ [الحشر:١٨].

وعن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غدًا أن تُحاسِبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية».

(١) أخرجه أحمد والترمذي وقال عنه الشيخ الألباني رحمة الله تعالى عليه في «صحيح الجامع» (٢/ ١١٨٩) حديث رقم [٧٠٧٠]: (حسن).

أهمية النقد:

١- إنَّ الإنسان من طبيعته الخطأ، وتنبيهه للخطأ هو نصحٌ له أو أمرٌ له بالمعروف ونهيٌ له عن المنكر، وهذا هو النقد، فيأخذ أهميته من أهميتهما.

٢- عن طريق النقد البناء يتم تصحيح الأخطاء حيث إنَّ غياب النقد يعني تراكم الأخطاء، فالخطأ الذي لا يُصحح يستمرُ، وخطأ مع خطأ مع ثالث يجعلها تتراكم فيصعب الإصلاح حينئذ.

٣- عن طريق النقد البناء يُبرئُ الإنسانُ ساحته وذمته، ويخرج من التبعة بأمره بالمعروف (بالمعروف) وإنكاره المنكر الذي رآه أو علم به (بغير منكر).

فمثل هذا لو سكت لكان آثمًا مأزورًا، ما لم يكن شرعًا معذورًا، فإذا نقد وبين الخطأ بالطرق المشروعة برئت ذمته، وبالتالي تزكو نفسه وتسمو.

٤- يجعل الإنسان إيجابيًا في بيئته إذا كان نقده بنَّاءً، حيث يترتب على نقده (بالشروط المعتبرة السابق ذكرها) تصحيح المسار، أما الساكتُ فهو سلبي لا يُستفاد منه، مع وقوعه في الوزر والإثم ما لم يكن معذورًا، كما سبق بيانه.

أنواع النقد:

١- نقد غير مباشر:

ويمكن أن نطلق عليه ونسميه: [النقد العام] ومثاله: كقوله سبحانه وتعالى في سورة براءة (التوبة): «وَمِنْهُمْ».... «وَمِنْهُمْ».

وكقوله ﷺ: «**ما بالُ أحدكم – رجال – أقوام**».

ولم يذكر أسماءً، ولم يحدد أشخاصًا، ولكن حدد أوصافهم وذكر أقوالهم.

وهذا أيها الإخوة الكرام مفيدٌ جدًا جدًا جدًا في ما إذا كان المرادُ بالنقد الظاهرة أو العمل، بِغَضِّ النظر عمن عمِله، فنحن نريدُ من نقد هذا الشيء تنبيه السامع حتى لا يقع في

المخالفة أو الخطأ، وتحذير الناس من عمل هذا العمل ولا يتعلق بالعامل لهذا العمل أي غرض، فهنا تنقد الظاهرة، تنقد العمل دون أن تقول: فلانًا هو الذي عمل كذا.

وهذا النوع من النقد هو الغالب في منهج الإسلام، وعليه موضوع هذه الرسالة التي بين أيديكم الموسومة بـ «ميزان الاعتدال في نقد المناهج وتقويم الرجال».

٢- نقد مباشر:

وهو النقدُ الخاص كأن تنتقد إنسانًا بعينه، وهذا إنما يُستعمل فيما إذا كان لذكر هذا الإنسان فائدة، كما لو كان مبتدعًا وقد لبّس على عوام الناس، أو كان صاحب فجور وقد أُعجب به الناسُ لحسن كتابته أو جودة أسلوبه، أو جرأته فهذا يُنقد بعينه.

والنقد المباشر مع أنه ليس هو المنهج الغالب في استعمال الشريعة الغراء إلا أنَّ له أصلًا كما جاء في قوله ﷺ مخاطبًا الشخص مباشرة:

«**ما هذا يا صاحب الطعام؟! أفلا جعلتَه فوق الطعام حتى يراهُ الناسُ؟ من غشَّ فليس منا**»[(١)].

وكقوله ﷺ ذاكرًا الشخصَ بعينه: «**ما يَنْقِمُ ابنُ جميلٍ، إلا أنه كان فقيرًا، فأغناه اللهُ...** »[(٢)]. فسمَّاه باسمه.

أما معنى التقويم في أصلها اللغوي: تقديرُ الشيء وإعطائه قيمة ما، والحكمُ عليه وإصلاح اعوجاجه، وهذا موضوع رسالتنا هذه.

وقد جاء في معاجم اللغة:

قوَّم الشيءَ: ثقَّفه: جعله يستقيم ويعتدل (متن اللغة): عدَّله (محيط المحيط)

قوَّم المُعوجّ: عدَّله وأزال عِوَجه (الوسيط).

قوَّم السِّلعة: سَعَّرها وثَمَّنها (الوسيط).

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

قوَّم السلعة واستقامها: قدَّرها (لسان العرب)

وعلى هذا يكون معنى التقويم:

التعديل، نحو: تقويم الأسنان...

قال الشاعر:

إنَّ الغصونَ إذا قَوَّمْتَها اعتدلتْ

ولا يلينُ إذا قوَّمْتَهُ الخشبُ

إذن فالتقويم: عملية علاجية لعلاج نقاط الضعف وتعزيز نقاط القوة.

وكذلك يمثل التقويم عملية وقائية، بمعنى أنه يَعْملُ على تفادي الوقوع في الخطأ عند تَكرار المواقف التي كانت موضوع تقويم من قبل، وهكذا يكون التقويم عملية تشخيصية علاجية وقائية.

وفي هذا العصر الذي عزَّ فيه العدلُ والإنصافُ، يحتاج المسلمُ إلى الرجوع إلى منهج السلف الصالح ليزن الأمور

كلها بالميزان القسط، حيث أصبحت الأهواء هي التي تتحكم بالأراء والتوجهات عند كثير من الفئات والتجمعات، حتى إنَّ الإنسان قد يتغاضى عن فادح أخطاء مَنْ يحب ويحاول بكل ما أوتي من قوة تبريرها، ويجعل هذا المحبوب في أعلى المنازل، ولا يقبلُ فيه نقدًا أو مراجعة.

وفي المقابل تراه إذا أبغض أحدًا لهوى في نفسه أو تقليدًا لغيره يُجرده من جميع فضائله وحسناته، ولم ينظر إلا إلى أخطائه وزلاته وسيئاته، أو يذكر محاسنه ويهوِّن من شأنها ويقللها، ويذكر سيئاته وأخطاءه ويفخمها ويضخمها.

ولشيوع هذه الظاهرة وانتشارها بين الصفوف، أحببتُ أن أعالجها قدر الوسع والطاقة بالرجوع إلى منهج السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم.

وليعلم الدعاة في هذا الزمان أنَّ البعد عن منهج سلف هذه الأمة في الدعوة إلى الله، يَجُر على الدعوة والدعاة كثيرًا من المشكلات، التي لا يقتصر أثرُها على الداعية وحده، بل

يتعدى إلى الإسلام وأهلِهِ، وليعلم الدعاةُ أيضًا أنَّ أعداء الإسلام في هذا الزمان يتصيّدون أخطاءَ الدعاةِ ليصدُّوا الناسَ بها عن هذا الدين الحنيف.

لذا لا خلاص من هذه المشكلات إلا بعودة الدعاة إلى منهج السلف الكرام، وفي مقدمتهم صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رضي الله تعالى عنهم أجمعين، فمناهجهم في دعوتهم أكمل المناهج وأسلمها.

فالموفق في دعوته من كان له النصيب الأكبر من الاقتداء بهم والسير على نهجهم، في الدعوة إلى الله جلَّ في علاه، وأسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعًا لما يحبه ويرضاه.

فيا أيها الناظر فيها لك غنمها، وعلى مؤلفها غرمها، ولك صفوها، وعليه كدرها، وهذه بضاعته المزجاة تُعرض عليك، فما كان من صوابٍ فمن اللهِ الواحدِ المنان، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله سبحانه وتعالى بريء منه ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فرحم اللهُ أخًا قرأ ما سطرتُه، فدعا لي دعوة صالحة بظهر الغيب، أو وجد عيبًا فأصلحه.

فإنِّي أجزمُ يقينًا بأنني لو أعدتُ النظر في هذه الرسالة مرة بعد أخرى لوجدتُ فيها ما يحتاج إلى تعديل أو تبديل، أو تقديم أو تأخير، ولكني أقولُ:

هذا جهد المقل، فما كان فيه من صواب فمن الله سبحانه وتعالى وأحمده سبحانه على ذلك، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله تعالى من الخطأ والزلل، فالكمالُ لله جل في علاه وحده، والعصمة لأنبيائه ورسله صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين، وكل كتاب لا يخلو من هذا سوى كتاب ربنا العزيز فهو الذي: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فُصِّلَت :٤٢].

وهو القائل سبحانه: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النِّسَاء : ٨٢].

فلا شك ولا مرية أنَّ النقص مستول على جملة البشر إلا من عصم الله تعالى.

والإنسانُ مهما ظن أنه أتقن وأجاد وأبدع في أمر من الأمور إلا ويتبين له بوضوح وجلاء قصوره، ويتمنى أن يعيد هذا العمل ويلحظ فيه ما غاب عنه، وهذا يدلُ على القصور الذي يعتري العقل البشري.

وإنِّـي لعلى يقين بانفطاري ساهيًا

والـسـهـو مـولـودٌ مـع الإنـسـان

فانشر محاسنها وكُنْ لي ناصحًا

فـالـنـصحُ منهج عصبة الإيمان

ولا يفوتني في هذا المقام أنْ أذكر للقراء الكرام أنني بعد أنْ فرغتُ من كتابةِ هذه الرسالة أرسلتُ منها نسخةً إلى فضيلةِ شيخنا وأخينا الحبيب/ د. أحمد فريد – حفظه الله ووفقه لكل عمل سديد.

وقد تفضَّل عليَّ وأعطاني من وقته الثمين وكتب مقدمة تَشْرُفُ بها الرسالة ويعظم قدرها إن شاء الله تعالى، وأسألُ المولى تبارك وتعالى أن ينفع بها كاتبها ومَنْ قدّم لها وراجعها وقارئها وكل من شارك في نشرها وساهم في استخلاص

الفوائد منها، راجيًا أن تكون إسهامًا - ولو ضئيلًا جدًا - في مجال الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، على منهج أهل السنة والجماعة.

وهذا ما يَسَّر اللهُ سبحانه وتعالى لي بمنه وكرمه إعداده وهيأ إيراده، لعل فيه ما أفاد، فإن كان كذلك فلله الحمد والمنة، وإن كان سوى ذلك فأرجو أن لا يضنّ محبٌّ بنصح: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُ﴾.

والله جلَّ في علاه الموفق للطاعات، والهادي إلى سواء الصراط، الموصل إلى نعيم الجنات، وأعلى الدرجات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آلهِ وأصحابهِ أجمعين

كتبه راجي عفو ربه الغفور

أبو محمد/ خالد بن محمد البحر جاسور

الإسكندرية - برج العرب الجديدة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهده الله فلا مُضل له، ومَنْ يُضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمر عباده بالعدل والإحسان إلى الخلق أجمعين، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله الذي جعله اللهُ تعالى أسوةً وقدوة للمؤمنين القائلُ: «**مَنْ يُرد الله به خيرًا يُفقهه في الدين**» صلى اللهُ عليه وعلى آلهِ الأطهار الطيبين وأصحابهِ الغر الميامين، ومَنْ تبعهم بخير وإحسان إلى يوم الدين.

﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا** ﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

أما بعدُ،،

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله تعالى، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

ثم أما بعدُ أيضًا:

فمن المعلوم الذي لا يخفى والمذكور الذي لا يُنسى، أنَّ العلماء هم ورثة الأنبياء، ولم يكن ميراثهم صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين دينارًا ولا درهمًا وإنما كان علمًا نافعًا.

لكن هؤلاء العلماء ليسوا سواءً، فمنهم العلماء الربانيون وهم الذين يعملون بعلمهم ويعلمون غيرهم على بصيرة، الذين يدعون مَنْ ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم

على الأذى، يُحيون بكتاب الله تعالى الموتى، ويُبصرون بنور الله جل في علاه أهلَ العمى، هم منْ اهتدى بهم الحائرُ، وسار بهم الواقفُ، وأقبل بهم المعرضُ، وكمُل بهم الناقصُ، ورجع بهم الناكصُ، وتقوَّى بهم الضعيفُ، فهم للخلق قادة وللعباد أئمة وسادة.

ومنهم علماء سوء، قد فتنهم حبُ الدنيا والثناء والشرف ورغِبت نفوسُهم العليلة في المنزلة والجاه، وتعلقت قلوبُهم المريضة بما في أيدي الناس فرضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، وباعوا الأخرة بالأولى، فهانوا على الناس بعد أن كانوا قادة، وأصابهم الذل والهوان بعد أن كانوا سادة.

وقصارى القول: فإنَّ هؤلاء المحسوبين على زمرة العلماء يؤثرون الدنيا على الآخرة، ويأكلون بألسنتهم، ويأمرون الناس بالمعروف وينسون أنفسهم، ومَنْ كان منهم عالمًا فإنه ممن لم ينتفع بعلمهم (وسيأتي إن شاء الله تعالى بيانُ خطورةِ هذا المسلك بعد قليل).

وهؤلاء يصفهم الإمامُ ابن القيم رحمة الله تعالى عليه بقوله: علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا، قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقًا كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قطاع الطرق(١). اهـ.

ولهذا قال سفيانُ بن عيينة – رحمة الله عليه – وغيرُه: احذروا فتنة العالم الفاجر، وفتنة العابد الجاهل، فإنَّ فتنتهما فتنة لكل مفتون، فهذا بجهله (يعني العابد الجاهل) يَصدُ عن العلم وموجبه، وذاك بغيِّه (يعني العالم الفاجر) يدعو إلى الفجور(٢). ولله درُّ هرم بن حيان رحمة الله تعالى عليه حيث حذر من العالم الفاسق فكتب إليه أميرُ المؤمنين أبو حفص عمرُ رضي الله عنه وأشفق منها: ما العالم الفاسق؟ فكتب إليه:

(١) انظر: «الفوائد» ص [٦٦].

(٢) انظر: «الفوائد» ص [١١١].

[يكون إمام يتكلم بالعلم ويعمل بالفسق، ويشبِّه على الناس فيضِلُّوا][١].

وهناك قسمٌ ثالث اختلط أمرهم عند الغالبية، وهم أشبه ما يكون بالقُصّاص الذين يتمسحون في زي العلماء، ويظهرون للأمة في ثوب الناصح والداعية، وهؤلاء ظهروا فجأة على ساحة الدعوة وصار لهم أتباع، وافترق الناسُ فيهم فمنهم المادح ومنهم القادح، ووقع البعضُ فيهم بين الإفراط والتفريط، وخرج البعضُ عن حد الاعتدال، وتركوا سبيل الإنصاف والتحقيق، فقيامًا بواجب النصيحة وتبيانًا لمنهج وقواعد أهل السنة والجماعة في النظر إلى المناهج ومقوماتها، ونقدها وتقويم دعاتها من خلال ما يظهر منهم ويثبت قولًا وفعلًا وسلوكًا، (وليس بما يُشاعُ عنهم أو بالظن) والتعامل معها وفق حدود الشرع الحنيف، كانت هذه الرسالة حيث بدا لي – حسب علمي القاصر – أن أجعلها بداية مرحلة جديدة

(١) انظر: «نزهة الفضلاء» (١/ ٣٢٨- ٣٢٩).

من مراحل الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ، ومن المعلوم الذي لا يخفى، والحق الذي لا يبلى، أنَّ الدعوة إلى الله تعالى من أعظم واجبات الشريعة الغراء المطهرة، وأصل عظيم من أصولها الثابتة الراسخة، بها يكمل نظام الشريعة ويرتفع شأنها، وهي وظيفة المرسلين وأتباعهم، إلى أن يرث اللهُ الأرضَ ومَنْ عليها.

ولذلك فإنَّه ينبغي لكل داعٍ إلى صراط رب العالمين، ومَنْ يريد أن يلحق بركب الدعاة المخلصين، أن يقف على أصول الدعوة وحقائقها وخصائصها ومتطلباتها حتى يعلم كيف يدعو الناس ويبين لهم أمور دينهم ومقاصد شريعتهم، حتى لا يصبح من الذين يصدون عن دين الله تعالى من حيث يدري أو لا يدري، فيكون من الذين ضلَّ سعيُهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، وقبل كل شيء يجب أن نضع العواطف جانبًا، فالأمرُ يتعلقُ بالدين، ولذلك يجب علينا جميعًا عندما نريدُ الكتابة أو الحديث في أي موضوع

مراعاة الأمور التالية، وهي بمثابة الخطوط العريضة لمنهج أهل السنة والجماعة المُستمد من الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة الصحيحة الصريحة الواضحة، ولكن قبل هذا يجب أن نذكر أولًا للقراء الكرام مَنْ هم أهل السنة والجماعة ؟ فنقولُ:

ما المراد بأهل السنة والجماعة؟؟؟

الجوابُ: المرادُ بأهل السنة والجماعة [سلف هذه الأمة من الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - والتابعين الذين اجتمعوا على الحق الصريح من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ][(١)].

فما كان عليه الرسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابُه رَضِيَ اللهُ عَنْهُم فهو الحق الذي يجب الاقتداء بهم فيه واتباعه، وكل مَنْ جاء بعدهم سالكًا سبيلهم مقتفيًا آثارهم فهم (الجماعة) سواء كان فردًا أم جمعًا.

(١) انظر: «شرح العقيدة الواسطية» تعليق الشيخ خليل هراس رَحِمَهُ اللهُ.

وهذه التسمية (أهل السنة والجماعة) لها إطلاقان:

إطلاق عام، وإطلاق خاص.

أما الإطلاق العام: فهو مقابل الشيعة، فيدخل فيه جميعُ الطوائف إلا الرافضة.

وأما الإطلاق الخاص: فهو في مقابل المبتدعة وأهل الأهواء، فلا يدخل فيه سوى أهلِ الحديث والسنة المحضة الذين يُثبتون الصفات التي وصف الله تعالى بها نفسه في كتابه العزيز، ووصفه بها رسوله ﷺ في سنته الصحيحة الصريحة من غير تكييف ولا تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل، ويقولون: إن القرآن كلام الله على الحقيقة غير مخلوق، وإنَّ الله تعالى يُرى في الآخرة، وغيرَ ذلك من الأصول المعروفة عند أهل السنة والمبثوثة في كتب العقيدة.

ومما لا شك فيه ولا ريب أنَّ منهج أهل السنة والجماعة هو المنهج الحق، وهو سبيل المؤمنين الذي يجب على كل أحدٍ

سلوكه، والتمسك به، والدعوة إليه على بصيرة، والدفاع عنه، وهو الطريق الذي مَنْ حاد عنه خسر وضل وهلك وتخبط في الأهواء المضلة والآراء المبتدعة، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

فهذا المنهج، منهج متكامل معصوم من الزيغ والضلال والخطأ، لأنه مُتلقى من الكتاب العزيز والسنة النبوية الصحيحة الصريحة، بل هو الكتاب والسنة.

ولماذا سُموا بهذه التسمية؟؟؟

الجواب: سُموا بهذه التسمية (أهل السنة) لأنَّ السنة شرعًا هي أقوالُ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأفعاله وإقراراته، وأهلها هم المتبعون لها المعتنون بدراستها وفهمها المحكِّمون لها، ونسبوا إليها لتمسكهم بها فيتبعون آثار الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العقيدة والعبادة والأخلاق والدعوة

إلى الله تعالى، يدعون عباد الله إلى شريعة الله كتابًا وسنة في كل مناسبة، ولكنهم لا يخبطون خبط عشواء، وإنما يدعون بالحكمة، وينزلون كل إنسان منزلته.

و(الجماعة) في الأصل القوم المجتمعون، والمراد بهم سلف الأمة من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين الذين اجتمعوا على الحق الصريح من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم الصحيحة الصريحة.

يقول العلامة أبو شامة رحمة الله عليه: [حيث جاء الأمرُ بلزوم الجماعة فالمراد لزوم الحق واتباعه، وإنْ كان المتمسكُ به قليلًا والمخالفُ له كثيرًا، لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، ولا تنظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم][١].

---

(١) انظر: «الحوادث والبدع» ص [٢٢].

ومن خصائص أهل السنة والجماعة:

أنه ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمهم تمييزًا بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها واتباعًا لها، تصديقًا وعملًا وحبًا وموالاة لمن والاها، ومعاداة لمن عادها(١).

أنهم جعلوا الكتاب والسنة إمامهم، وطلبوا الدين من قِبَلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم وآرائهم عرضوه على الكتاب والسنة، فإن وجدوه موافقًا لهما قبلوه وشكروا اللهَ حيث أراهم ذلك ووفقهم له، وإن وجدوه مخالفًا لهما تركوا ما وقع لهم وأقبلوا على الكتاب والسنة، ورجعوا بالتهمة على أنفسهم، فإنَّ الكتاب والسنة لا يهديان إلا إلى الحق، ورأيُ الإنسان قد يكون حقًا وقد يكون باطلًا(٢).

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٥٧).

(٢) انظر: «مختصر الصواعق» ص[٤٩٦].

أنهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم وتباعد ديارهم، تجد أنَّ جميع كتبهم المصنفة من أولها إلى آخرها في باب الاعتقاد، على وتيرةٍ واحدة ونمطٍ واحد، يَجْرُون فيه على طريقة لا يحيدون عنها، قلوبُهم في ذلك على قلبٍ واحد، ونقلُهم لا ترى فيه اختلافًا ولا تفرقًا، بل لو جَمعْتَ ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدتَه كأنه جاء عن قلب واحد وجرى على لسانٍ واحدٍ.

وهل على الحق دليلٌ أبينُ من هذا؟

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

قال أبو المظفر ابن السمعاني: [وكان السببُ في اتفاق أهل الحديث، أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة وطريق النقل، فأورثهم الاتفاق والائتلاف، وأهلُ البدع أخذوا الدين من عقولهم فأورثهم التفرق والاختلاف، فإن النقل

والرواية من الثقات والمتقنين قلَّما تختلف، وإن اختلفتْ في لفظةٍ أو كلمةٍ فذلك الاختلاف لا يضر الدين ولا يقدح فيه، وأما المعقولات والخواطر والآراء فقَلَّما تتفق، بل عقلُ كلّ واحدٍ ورأيهُ وخاطرهُ يُري صاحبَه غير ما يُري الآخر][(١)].

أنه ليس لهم لقب يُعرفون به ولا نسبة ينتسبون إليها، كما قال بعضُ الأئمة وقد سُئل عن السنة، فقال: السنة ما لا اسم له سوى السنة.

وأهلُ البدع ينتسبون إلى المقالة تارة، وإلى القائل تارة، وأهلُ السنة بريئون من هذه النسب كلها، وإنما نسبتهم إلى الحديث والسنة[(٢)].

[علم ودعوة واتباع وإسداء نصيحة]

١- من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة أنّ الرجل المسلم قد يجتمع فيه الخير والشر، كما يجتمع فيه شُعبٌ من

---

(١) انظر المصدر السابق ص [٤٩٧].

(٢) المصدر السابق ص [٥٠٠].

شُعب الإيمان، وشُعبٌ من شُعب الكفر. فيُحمد ويُحب من وجه على قدر الخير الذي هو فيه، ويُذم ويُبغض من وجه آخر على قدر الشر الذي هو فيه، ما دام باقيًا على أصل التوحيد، يشهد شهادتنا ويصلي صلاتنا.

يقول شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمة الله تعالى عليه: وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة، ومعصية، وسنة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا، كاللص الفقير تُقْطع يَدُه لسرقته، ويُعْطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته[(١)]. اهـ

فالمسلم المتلبس بمعصية دون الكفر له حق الولاء والمحبة بقدر إسلامه وطاعته، ويزداد حقه بازدياد الطاعات، ويجب البراء منه على قدر عصيانه، ويزداد بازدياد المعاصي.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٠٩).

وقد يُهجر العاصي أو المبتدع إذا كانت المصلحة الشرعية تقتضي ذلك للرحمة والتأديب والإحسان، لا للتشفي والحقد والانتقام، ومع هجره أو إقامة الحد عليه – إذا ثبت ما يوجبه عليه– فله حق الولاء والنصرة، على قدر ماعنده من معروف وصلاح وخير وتقوى وطاعة.

وينبغي الإشارة هنا إلى أنَّ الغفلة عن أنَّ المسلم قد يجتمع فيه في آن واحد الخير والشر، والعلم والجهل، والطاعة والمعصية، وأنه عرضة للخطأ والسهو والنسيان، فيؤدي ذلك إلى مجاوزة الحد والوقوع في الظلم والتعدي والطغيان.

وبناء على ذلك ينبغي أن يكون التقويمُ قائمًا على التفريق بين خيره وشره، وصوابه وخطئه، فنواليه في طاعته وخيره وصلاحه وصوابه، ونلتزم بضوابط الشرع الحنيف في مدحه، ونتبرأ مما وقع منه من معصية وشر وخطأ، (فالتبري يكون من الفعل وليس من الفاعل) ونلتزم أيضًا بضوابط الشرع الحنيف في ذمه.

٢- مما اتفق عليه المسلمون أن تُرد الأمور التي يختلفون فيها إلى كتابِ الله وسنةِ رسوله ﷺ، والردُ إلى الرسول ﷺ يكون بسؤاله عنه في حياته، و بالنظر في سنته الصحيحة الصريحة المحفوظة بعد انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

وقد كان العلماء من الصحابة الأتقياء والتابعين الأجلاء ومَنْ بعدهم إذا تنازعوا في شيء اتبعوا أمر الله تعالى في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

قال الإمامُ ابن القيم رحمة الله تعالى عليه في تعليقٍ له على هذه الآية:

[ولو لم يكن في كتاب الله وسنة رسوله بيان حكم ما تنازعوا فيه، ولم يكن كافيًا، لم يأمر بالرد إليه، إذ من الممتنع

أن يأمر تعالى بالرد عند النزاع إلى مَنْ لا يوجد عنده فصل النزاع][(١)].

ولكنهم يقومون بذلك وفق ما تقرره وتوجبه الشريعة الغراء، ويلتزمون في نفس الوقت أصلًا آخر وقاعدة عظيمة، هي الحفاظ على تأليف القلوب، واجتماع الكلمة، وصلاح ذات البين، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

وأمثالُ ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف، وتنهى عن الفرقة والاختلاف، (فمتى ترك الناسُ بعضَ ما أمرهم الله به، وقعت بينهم العداوةُ والبغضاءُ، وإذا تفرق القومُ فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا، فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب، وجماع ذلك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا

(١) انظر: «إعلام الموقعين» (١/ ٤٩).

بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ إلى قوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ فمن الأمر بالمعروف الأمر بالائتلاف والاجتماع، والنهي عن الاختلاف والفرقة[1].

٣- الالتزام بضوابط شرعنا الحنيف، الذي يأمرنا بالعدل والإنصاف في جميع أحوالنا ومع جميع الخلق، والتجافي عن الظلم والاعتساف ولو كان مع أشد الناس عداوة وبغضًا، فالواجبُ علينا أن نقبل الحق ولو قال به العدو اللدود، ونرفض الباطل ولو كان من الحبيب الودود، وبذلك نسلم من الوقوع في الخطأ والزلل والانحراف، وكما يُقالُ: (بضرب المثال يتضحُ المقال) فأذكر على ذلك أمثلة من كتاب الله تعالى، وسنة رسول الله ﷺ الصحيحة الصريحة، ومنهج أئمة الحديث في تقويم الرجال، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣/ ٤١٩ - ٤٢١).

شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٥].

ويقول تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

فالقاعدة في هذه الأمور جميعًا، هي العدل والقسط، وقد أمرنا جلَّ وعلا أن نكون شهداء لله قوَّامين بالقسط، وقوَّامين لله شهداء بالقسط، كما جاء في الآية الأخرى، وهو الميزان الذي يعمل به أهل السنة والجماعة، ويجب أنْ يكون عند المسلمين جميعًا، واللهُ تعالى يقولُ: ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾.

[الرحمن: ٨-٩]

فليس المراد هنا مجرد الميزان المعروف الذي يُكالُ به التمرُ والدقيقُ والشعيرُ وغيرُ ذلك، ليس هذا فقط، بل الميزان هو ميزان حياتك جميعًا، لا تزن الأمور جميعًا سواء الحسية أو المعنوية إلا بالعدل والقسط.

أما بخصوص ما ورد في السنة النبوية الصحيحة الصريحة، فقد أخرج الإمام البخاري رحمه الله تعالى من حديث أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «أنَّ رجلًا كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله، وكان يُلقّبُ حِمارًا، وكان يُضحكُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم قد جلده في الشراب، فأُتي به يومًا فأمر به فجُلد، فقال رجلٌ من القوم: اللهمَّ العنه، ما أكثرَ ما يُؤتى به! فقال النبيُ صلى الله عليه وسلم : «**لا تلعنوه، فو الله ما علمتُ إنه يُحبُّ الله ورسوله**».

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه : «فلما انصرف قال رجلٌ: ما له أخزاه الله! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : «**لا تكونوا عونَ الشيطانِ على أخيكم**».

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمة الله عليه: [وفيه أنْ لا تنافي بين ارتكابِ النهي وثبوت محبة الله ورسوله في قلب المرتكب، لأنه ﷺ أخبر بأن المذكور يُحب اللهَ ورسولَه مع وجود ما صدر منه، وأنّ مَنْ تكررت منه المعصية لا تُنزع منه محبة الله ورسوله، ويُؤخذ منه تأكيد ما تقدم أنّ نفي الإيمان عن شارب الخمر لا يُراد به زواله بالكلية بل نفي كماله كما تقدم، ويحتمل أن يكون استمرار ثبوت محبة الله ورسوله في قلب العاصي مقيدًا بما إذا ندم على وقوع المعصية وأقيم عليه الحد فكفَّر عنه الذنب المذكور، بخلاف مَنْ لم يقع منه ذلك فإنه يُخشى عليه بتكرار الذنب أن يُطبع على قلبه شيء حتى يُسلب منه ذلك، نسألُ الله العفو والعافية][1].

فتأملوا إخواني القراء الكرام كيف فرّق رسولُ الله ﷺ مع شخص واحد بين خيره وشره، وصلاحه وفساده، فأقر له بما فيه من خير، وفي الوقت ذاته أقام عليه الحد في معصية اقترفها، وأمر الناسَ بتوبيخه عليها.

(١) انظر: «فتح الباري» (١٢/ ٨٠).

وانظروا أيضًا إلى موقفه ﷺ من الصحابي الجليل المجاهد/ أبي سليمان خالد بن الوليد رضي الله عنه، كيف مدَحَه في موقفٍ، وتبرأ مما ارتكبه من خطأ في موقفٍ آخر، فلم يجعل خطأه هادمًا لفضله، فقد وصف ﷺ خالدًا رضي الله عنه لما قاد المسلمين في مؤتة بعد أن كادت الروم تجتاحهم بأنه سيف من سيوف الله.

لكنه لما أخطأ في معاملة بني جذيمة حين قالوا صبأنا صبأنا، ولم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فلم يقبل منهم ذلك ظنًا منه أنهم لم يُسلموا، فجعل يَقتل منهم ويأسر، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ رفع يديه فقال: «**اللهُمَّ إني أبرأ إليك مما صنع خالد، مرتين، أو ثلاثة**»(١).

قال الحافظ ابن حجر رحمة الله عليه: [وقد عذر النبيُ ﷺ خالدَ بن الوليد في اجتهاده، ولذلك لم يقد منه](٢).

---

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(٢) انظر: «فتح الباري» (٦/ ٣١٦).

ونقل عن الخطَّابي رحمة الله تعالى عليه قوله: أنكر عليه العجلة وترك التثبت في أمرهم قبل أن يعلم المراد من قولهم صبأنا[١].

ونختمُ بما أخرجه الإمامُ البخاري في صحيحه من حديث راوية الإسلام أبي هريرة رضي الله عنه قال: «وكَّلني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ....... فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما إنه صدَقَكَ وهو كَذُوبٌ، تعلمُ مَنْ تُخاطبُ مذ ثلاث ليالٍ يا أبا هريرة؟ قال: لا. قال: ذاك شيطانٌ.

فالنبيُ صلى الله عليه وسلم أثبت الصدق للشيطان الذي ديدنه الكذب، فلم يمنع ذلك من تقبل الخير الذي دلَّ عليه، فتأملوا ذلك جيدًا يتبين لكم ما فيه فتغنموا.

فلذلك نقولُ: لا ينبغي للمسلم أن تكون مواقفه من رجال العلم أو الدعوة أو الجهاد على اختلاف تياراتهم

---

(١) انظر: «الفتح» (٧/ ٦٥٥).

ومذاهبهم وأعمالهم على أساس القبول المطلق، أو الرفض المطلق، وإنما تكون على أساس راسخ من برهان واضح، وتثبت عميق، والحكمة والعدل تقتضي أن نفرق بين أحوالهم، فما كان من أعمالهم أو أقوالهم موافقًا للشرع الحنيف وصواباً كله نقبله كله، وما كان خطأً كله رفضناه كله، وما كان فيه صواب وخطأ قبلنا صوابه، وأثنينا عليه، ورددنا خطأه، وحذّرنا منه، فلا تكون معصية العاصي مهدرة لجميع طاعته وحسناته، ولا خطأ المخطئ وسلبياته هادمة لصوابه وإيجابياته، وهذا الذي ندع قوله يبقى عالمًا فاضلًا مشهودًا له بالصلاح والصدق، ولكن لا نتبعه في زلته أو في اجتهادٍ قد أخطأ فيه.

يقول شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رحمة الله تعالى عليه: [وأمرنا بالعدل والقسط فلا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني فضلًا عن الرافضي قولًا فيه حقٌّ أنْ نتركه أو نرده كله، بل لا نردُّ إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق][1].

(١) انظر: «منهاج السنة النبوية» (٢/ ٣٤٢).

وهذا هو المنهج القويم (منهج تحقيق العدل والإنصاف) الذي اعتمده أهلُ العلم الثقات في القديم والحديث في تراجمهم لرواة الأحاديث، وقد بنى أئمةُ الحديثِ منهجًا متميزًا في الجرح والتعديل، يقوم أساسه على تمام الدقة والتثبت، مع تمام العدل والإنصاف في تقويم الرجال جرحًا وتعديلًا، ولا يُوجد بحمد الله تعالى منهجٌ بشري على الإطلاق يملك عُشر مِعْشار هذا المنهج التوثيقي الدقيق الذي قدَّمه لنا أئمة الحديث رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وقد وضح لنا الحافظ ابن حبان رحمة الله تعالى عليه هذا المنهج حينما قال:

[لسنا ممَّن يوهم الرعاع مالا يستحله ولا ممن يحيف بالقدح في إنسان وإنْ كان لنا مخالفًا، بل نعطي كلَّ شيخ حظه مما كان فيه ونقول في كلِّ إنسان ما كان يستحقه من العدالة والجرح][١].

---

(١) انظر: «الثقات» (٧/ ٦٤٦).

ولهذا تجد أنهم [كانوا يبينون أحوالهم وينقدونهم حسبة لله، لا تأخذهم خشية، ولا توجههم عاطفة فلا يحابون أبًا ولا أخًا ولا ولدًا، فهذا ابنُ أنيسة يقولُ: لا تأخذوا عن أخي، وهذا علي بن المديني يقول عن أبيه: سلوا عنه غيري[(١)].

ونقل ابنُ أبي حاتم عن أبيه أنَّ يحيى بن المغيرة سأل جريرًا (ابن عبد الحميد) عن أخيه أنس فقال: قد سمع من هشام بن عروة، ولكنه يَكذبُ في حديثِ الناس فلا يُكتب عنه[(٢)].

وإليك أخي القارئ نماذج من تراجم لبعض الرواة والعلماء يتجلى من خلالها التطبيق العملي لهذا المنهج السديد الذي أشرتُ إليه قبل قليل.

(أ) أبان بن تغْلِب الكوفي، شيعي جلد، لكنه صدوق، فلنا صدقه وعليه بدعته[(٣)].

---

(١) انظر: «ميزان الاعتدال» للحافظ الذهبي (١/ ٤٠).

(٢) انظر: «لسان الميزان» (١/ ٤٦٩).

(٣) انظر: ترجمته في «ميزان الاعتدال» (١/ ١١٨) ترجمة رقم [١٢٥٢].

فلقائل أن يقول: كيف ساغ توثيق مبتدع وحَدُّ الثقة العدالة والإتقان؟ فكيف يكون عدلًا مَنْ هو صاحب بدعة؟

وجوابُه أنَّ البدعة على ضربين: فبدعة صغرى كغلوّ التشيع، أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرف، فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق، فلو رُدَّ حديثُ هؤلاء لذهب جملةٌ من الآثار النبوية، وهذه مفسدة بيِّنة.

ثم بدعة كبرى، كالرفض الكامل والغلو فيه، والحَط على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما والدعاء إلى ذلك، فهذا النوعُ لا يحتجُّ بهم ولا كرامة.

إلى قوله: [ولم يكن أبان بن تغلب يَعْرض للشيخين أصْلًا، بل قد يعتقد عليًا أفضل منهما][(١)].

(ب) الحكم بن عبد الله، أبو مُطيع البلْخيُّ الفقيه، صاحب أبي حنيفة، كان بصيرًا بالرأي علامة كبير الشأن، ولكنه واهٍ في ضبط الأثر[(٢)].

---

(١) انظر: «ميزان الاعتدال» (١/ ١١٨ - ١١٩).

(٢) انظر: ترجمته في «ميزان الاعتدال» (٢/ ٣٣٩) ترجمة رقم [٢١٨٤].

(جـ) محمد بن عمر، أبو بكر الجعابي الحافظ، من أئمة هذا الشأن ببغداد، على رأس الخمسين وثلاثمائة، إلا أنه فاسق رقيق الدين[١].

(د) أبو محمد ابن حزم رحمة الله تعالى عليه، قال الحافظ الذهبي رحمة الله تعالى عليه في ترجمته: [....... وكان قد مهر أولًا في الأدب والأخبار والشِعر، وفي المنطق، وأجزاء الفلسفة، فأثرت فيه تأثيرًا ليته سَلِمَ مِنْ ذلك، ولقد وقفتُ له على تأليف يحضُّ فيه على الاعتناء بالمنطق، ويُقدِّمه على العلوم، فتألمتُ له، فإنه رأسٌ في علوم الإسلام، متبحرٌ في النقل، عديم النظير على يبس فيه، وفرط ظاهرية في الفروع والأصول[٢].

وقال (الحافظ الذهبي) رحمة الله تعالى عليه في ترجمة أبي بكر ابن العربي رحمة الله تعالى عليه مشيرًا إلى كلامه في

(١) انظر: ترجمته في «ميزان الاعتدال» للحافظ الذهبي رحمة الله تعالى عليه (٦/ ٢٨٠) ترجمة رقم [٨٠١٢].

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ١٨٤ - ٢١٢).

أبي محمد بن حزم رحمة الله تعالى عليه: [....... ولم أنقم على القاضي رَحِمَهُ اللهُ إلا إقذاعه في ذمِّ ابن حزم واستجهاله له، وابن حزم أوسع دائرة من أبي بكر في العلوم، وأحفظ بكثير، وأصاب في أشياءَ وأجاد، وزَلَقَ في مضايق كغيره من الأئمة. والإنصافُ عزيز][(١)].

٤- الابتعاد عن التعميم، فإنه فعل ذميم، يؤدي غالبًا إلى رفض وعدم قبول قول القائل، وإنْ كان معه الحق المبين، وهذا أيضًا نجدُه واضحًا جليًا في كتابنا العزيز الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفهِ تنزيلٌ من حكيم حميد، فعندما وصف اللهُ جلَّ في علاه أهلَ الكتاب الذين يسبونه سبحانه وتعالى، وينسبون له الصاحبة والولد - تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا - لم يجعلهم صنفًا واحدًا، بل قال سبحانه وتعالى عنهم: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ

(١) انظر: المصدر السابق (٢٠/ ١٩٧ - ٢٠٤).

قَآئِمًاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٥].

وكذلك عندما وصف الأعراب قال عز وجل عنهم: ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة: ٩٩].

٥- عدم التشهير بأحدٍ من العلماء بصفةٍ خاصة، لزلةٍ قارفها أو خطأ وقع فيه، ولا التشهير بآحاد الناس بصفة عامة، إلا أن يكون فاسقًا مجاهرًا بفسقه، مصرًا على ذنبه.

فالمناصحة لابد أن تُبنى على: العدل في القول، والإنصاف في الحكم، وحسن الظن وهو أنَّ الأصل في المسلمين الخير، والأصل فيهم حُسن القصد إلا من ثبت إصراره وعناده، وهذا أساس التعامل بين المسلمين، ثم بعد ذلك لا مانع من توجيه الخطأ والنصح فيه.

ويجبُ العلم بأن (الحكم في العلماء والرواة يحتاج إلى نظر وتدبر وتثبت أشد مما يحتاج إليه الحكم في كثير من الخصومات، فقد تكون الخصومة في عشرة دراهم فلا يُخشى من الحكم فيها عند الغضب إلا تفويت عشرة دراهم، فأما الحكم على العالم والراوي فيخشى منه تفويت علم كثير وأحاديث كثيرة ولو لم يكن إلا حديثًا واحدًا لكان عظيمًا)(١) اهـ.

فنحن عندما نتكلمُ على داعيةٍ من الدعاةِ يجبُ أن يكون كلامنا يدور بين (النقد البناء، والنصيحة، والصدع بالحق) ونحترز من نواقض هذه الصفات كـ (التجريح، والفضيحة، والتحامل) لأن هذه مطية أعداء الدين والتدين، لهدم الدين والخلق القويم كما لا يخفى على لبيب.

إذن فعليك أخي الناصح بالاحتياط وتحري الألفاظ، فامتلاك الكلمة قبل النطق بها هو دأب أهل الصلاح والإصلاح والخير، حتى لا نقع في مخالفة أو مخالفات شرعية.

(١) انظر: «التنكيل» للعلامة عبد الرحمن المعلمي رحمة الله تعالى عليه بتصرف يسير (١/ ٥٥).

وتصحيحُ الأخطاء يجب أن يُبنى على الأسس الشرعية التي تهدفُ إلى الإصلاح، وأن نتفادى فيها كل ما يحول بيننا وبين إصلاح أحوال الآخرين من إخواننا المسلمين.

وقد كان رسولُ الله ﷺ وهو قدوتنا وأسوتنا إذا بلغه عن أحدٍ من أصحابه - رضي الله تعالى عنهم أجمعين - شيئًا يقولُ: «**ما بالُ أقوام يقولون كذا وكذا؟ وما بال رجال يفعلون كذا**» كما جاء من حديث أنس رضي الله عنه عند مسلم.

٦- الحذر من التعصب واتباع الهوى ومعرفة الحق بالرجال:

وهذا كان منهج الأئمة والصالحين في زمان كان يُعرف الرجالُ بالحق، وليس كما هو الحال في زماننا هذا نعرفُ الحق بالرجال.

إنَّ كثيرًا من المنازعات والخلافات التي تحدث بين طلاب العلم هو التعصب لأقوال الرجال، وعلى هذا التعصب المقيت يصبح عندهم تقويم الشيوخ والدعاة، ضاربي بمنهج سلف الأمة عرض الحائط.

ويرحم اللهُ تعالى أبا حامد الغزَّالي إذ يقولُ: [وهذه عادة ضعفاء العقول: يعرفون الحقَّ بالرّجال، لا الرّجال بالحق].

والعاقلُ يقتدي بسيِّد العقلاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قال: لا تعرف الحق بالرجال، بل اعرف الحق تعرف أهله.(١) اهـ

فالعاقلُ هو الذي يبحث عن الحق ويعرفه، ثم ينظرُ في القول نفسه، فيخضعه للحق الذي علمه، فإما يقبله أو يرفضه.

فأحيانًا تجدُ البعضَ من شدة تعصبه لعالم من العلماء يشنع تشنيعًا شديدًا على الدعاة المخالفين لرأي شيخه، فيجعل الشيخ هو الدعوة والدعوة هي الشّيخ، فمن تكلم في الشيخ بحق أو بباطل فهو متكلم في الدعوة وهو في صف أهل الباطل والبدع المناوئين للدعوة والمحاربين لها، بل وترى

---

(١) انظر: «المنقذ من الضلال» ص [١١١].

منهم من يبالغ ويجاوز الحد في التعصب لهذا الشيخ حتى لا يقر ما هو حق فيه، إما بتكلف التأويل لكلامه، أو بإنكار ما هو ثابت عنه، وهذه عصبية مقيتة تدلُ على ضعف إيمان وعقل وقلة علم صاحبها، فتعمي العصبية لشيخه بصره، وتغشى على عقله، فلا يرى حسناً إلا ما حسنه شيخه، ولا صوابًا إلا ما ذهب إليه شيخه، فيجعل عينيه مريضتين عن رؤية الخطأ من شيخه، فحال هؤلاء وأشباههم كما قال القائل:

وعينُ الرضا عن كل عيبٍ كليلة

ولكن عين السخط تبدي المساويا

ومما لاشك فيه ولا مرية أنَّ تربية الطالب لها الدور الكبير في نشوء مثل هذه الظواهر، فمن تربى تربية سُنية سلفية من بداية أمره فهو على خير من ربه، بخلاف من تربى على التعصب والغلو من بادئ أمره فأمثال هؤلاء صعب علاجهم وإعادتهم إلى الصواب - إلا أن يشاء الله جل في علاه- لأنهم يعتقدون أنهم على صواب وأنَّ غيرهم على باطل.

فالتعصب للآراء والرجال يَحولُ بين المرء وبين اتباع الدليل ومعرفة الحق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ [البَقَرَة: ١٧٠].

قال الحافظ ابن كثير رحمة الله عليه: أي إذا دُعُوا إلى دين الله وشرعه وما أوجبه، وترك ما حرمه قالوا: يكفينا ما وجدنا عليه الآباء والأجداد من الطرائق والمسالك، قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾.

أي لا يفهمون حقًا ولا يعرفونه ولا يهتدون إليه، فكيف يتبعونهم والحالة هذه، لا يتبعهم إلا مَنْ هو أجهل منهم وأضل سبيلًا[١]. اهـ

قلتُ: وهذا شأن المتعصبين دائمًا وأبدًا، إذا دُعُوا إلى اتباع الكتاب العزيز والسنة النبوية الصحيحة الصريحة ونبذ ما هم عليه مما يخالفها، احتجوا بمذاهبهم ومشايخهم وآبائهم وأجدادهم!

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٢٧ - ١٢٨).

وفي شأن أولئك وأمثالهم وأشباههم، يقولُ شيخُ الإسلام ابن تيمية – رحمة الله تعالى عليه –: «فدين الله مبني على اتباع كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وما اتفقت عليه الأمة، فهذه الثلاثة هي المعصومة، وما تنازعت فيه الأمة ردوه إلى الله ورسوله ﷺ وليس لأحدٍ أن ينصب للأمة شخصًا يدعو إلى طريقته، يوالي عليها ويعادي غير كلام الله ورسوله ﷺ وما اجتمعت عليه الأمة»[1]. اهـ

وقال أيضًا: [مَنْ أوجبَ طاعة أحدٍ غير رسول الله ﷺ في كل ما يأمر به، وأوجب تصديقه في كل ما يخبر به وأثبت عصمته أو حفظه في كل ما يأمر به ويخبر من الدين، فقد جعل فيه من المكافأة لرسول الله ﷺ والمضاهاة له في خصائص الرسالة بحسب ذلك، سواء جعل ذلك المضاهى لرسول الله ﷺ بعض الصحابة أو بعض القرابة أو بعض الأئمة والمشايخ أو الأمراء وغيرهم][2].

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٠/ ١٦٤).
(٢) انظر: «جامع الرسائل» (١/ ٢٧٣).

وقال أيضًا رحمة الله تعالى عليه: [وإنما الواجبُ بيانُ ما بعث اللهُ به رُسُلَه وأنزل به كتبه، وتبليغ ما جاءت به الرسلُ عن الله، والوفاء بميثاق الله الذي أخذه على العلماء، فيجب أن يعلم ما جاءت به الرسل، ويؤمن به ويبلغه ويدعو إليه ويجاهد عليه، ويزن جميع ما خاض الناس فيه من أقوال وأعمال في الأصول والفروع الباطنة والظاهرة بكتاب الله وسنة رسوله، غير متبعين لهوى: من عادةٍ أو مذهبٍ أو طريقةٍ أو رئاسةٍ أو سلفٍ، ولا متبعين لظن: من حديثٍ ضعيفٍ أو قياس فاسدٍ - سواء كان قياس شمول أو قياس تمثيل - أو تقليد لمن لا يجب اتباع قوله وعمله، فإنَّ الله ذم في كتابه الذين يتبعون الظن وما تهوى الأنفس، ويتركون اتباع ما جاءهم من ربهم من الهدى][(١)].

يقول العلامة ابن القيم رحمة الله تعالى عليه:

وسلِ العياذَ من التكبّر والهوى

فهما لكلِّ الشرِّ جامعتانِ

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٤٦٧ - ٤٦٨).

وهما يصدَّان الفتى عن كلِّ طرق
الخير إذ في قلبه يلجان
فتراه يمنعه هواه تارة
والكبرُ أخرى ثم يجتمعان
واللّهِ ما في النار إلا تابع
هذين فاسأل ساكني النيران
والله لو جردت نفسك منهما
لأتت إليك وفودُ كل تهان

وقال آخر:
لو أنصف النَّاسُ لَما جادلوا
في كُلِّ شَيءٍ ظاهرٌ حُكمُه
لَكنَّ بعْضَ النَّاسِ عند الهَوى
يَطيشُ مِنْ مرمَاته سَهْمُه
يُخَطِّىءُ النَّاسَ وأفهامَهُم
ورُبَّما خَطَّأهُ فَهْمه
وفي أولي الألبابِ مَنْ قَصْدُهُ
الحَقَّ ولَوْ جاء به خَصْمُه

ثم أقولُ بعد ما تقدم بيانه:

من المعلوم بداهة لدى جميع المشتغلين في مجال الدعوة أنَّ كل مَنْ يدعو إلى شيء يُسمى داعية، ولا يُعدُّ نجاحُ أحدٍ من الدعاة في دعوته دليلًا على كونه على الحق.

فانظر مثلًا إلى كثير من الدعاة الذين حذر منهم العلماءُ قديمًا وحديثًا، تجدُ أعدادًا هائلة لا يحصيهم إلا الله تبارك وتعالى يتبعونهم في دعوتهم، وفيهم أصحابُ عقول كبيرة، وما عُبَّاد البقر منا ببعيد!!!

ولكن الذي يتميز وينفرد به دعاة الحق كونهم ينطلقون من قاعدة متينةٍ ثابتةٍ راسخةٍ لا تتزعزع مطلقًا، وشعارُهم في ذلك قول المولى تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾

[يُوسُف : ١٠٨]

فأتباع الرسول ﷺ المؤمنون به، يدعون إلى الله على بصيرة أي علم ويقين، كما كان رسولهم ﷺ يدعو إلى الله على بصيرة ويقين.

ومن المعلوم أنَّ المسلم يثق بالدعاة أكثر من غيرهم، ويأتمنهم على دينه، ويقبل دعوتهم وكلامهم، وهذا ينبه إلى خطورة الدعوة والكلمة، ودورها وأثرها على الفرد والمجتمع.

إذن فطبيعة مهمة الداعي خطيرة، ونظرة الناس إليه واعتدادهم به، وأخذهم عنه يجعل أمر العلم [أشد ضرورة للداعي إلى الله، لأنَّ ما يقوم به من الدين ومنسوب إلى رب العالمين. فيجب أن يكون الداعي على بصيرة وعلم بما يدعو إليه وبشرعية ما يقوله ويفعله ويتركه فإذا فقد العلمَ المطلوب واللازم له كان جاهلًا بما يريده ووقع في الخبط والخلط والقول على الله ورسوله بغير علم فيكون ضرره أكثر من نفعه وإفساده

أكثر من إصلاحه، وقد يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف لجهله بما أحله الشرع وأوجبه وبما منعه وحرمه][(١)] اهـ.

ومن هنا نقولُ: يَجبُ وجوبًا عينيًا على كل مَنْ أراد أن يقول قولًا أو يكتب شيئًا أن يدرك مسئولية الكلمة، فإنَّ الكلمة الواحدة من سخط الله يقولها المرءُ لا يلقي لها بالًا يهوي بها في النار سبعين خريفًا والعياذ بالله تعالى!!!

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ العبدَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ ما يتبيَّنُ فيها، يزلُّ بها في النار أبعد ما بينَ المشرقِ والمغربِ**».

ويقولُ ﷺ: «**إنَّ الرجلَ ليتكلم بالكلمةِ لا يرى بها بأسًا، يهوي بها سبعين خريفًا في النار**»[(٢)].

---

(١) انظر: «أصول الدعوة» ص [٣١٢].

(٢) أخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني رحمة الله تعالى عليه في «صحيح الجامع» (١/ ٣٣٤) حديث رقم [١٦١٨].

وجاء في حديث بلال بن الحارث رضي الله عنه لفظ: «**وإنَّ الرجل ليتكلمُ بالكلمة منْ سخط الله تعالى ما يظنُّ أن تبلغ ما بلغتْ، فيكتبُ اللهُ عليه بها سخطهُ إلى يوم القيامة**»(١).

وقد أشار الإمامُ ابن القيم رحمة الله تعالى عليه إلى فائدةٍ عجيبةٍ جدًا قلَّ مَنْ ينتبه لها، فها هو يقولُ: [ومن العَجب أنَّ الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز مِن أكل الحرام، والظلم، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، ومن النظر المحرم، وغير ذلك. ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه!!!

حتى يُرى الرجلُ يُشارُ إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلَّم بالكلمة مِنْ سخط الله لا يُلقي لها بالًا ينزل منها أبعد ممَّا بين المشرق والمغرب](٢) اهـ.

---

(١) أخرجه مالك وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه الشيخ الألباني رحمة الله تعالى عليه في «صحيح الجامع» (١/ ٣٣٤) حديث رقم [١٦١٩].

(٢) انظر: «الجواب الكافي» ص [٥٤].

ولا نقولُ لكل من أرادَ أنْ يقوم بالدعوة: كن عالمًا بكل أمور الدين أو كن فقيهًا، بل على كل طالب عِلْمٍ وكل مسلم، عَلِمَ شيئًا من الدين وتبصَّر به، وفَقِهَ المسألة التي يدعو إليها، أن يدعو إلى الله تعالى بقدر وُسْعِهِ، وعلى بصيرةٍ في الأمر الذي يدعو إليه، وسيأتي تفصيلُ ذلك بعد قليل.

يقولُ شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رحمة الله تعالى عليه في تعريف الدعوة: «والدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسُله وبتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا»[(١)].

وأوجز الإمامُ الطبري رحمة الله تعالى عليه القولَ وأبلغ في المعنى حين قال عن الدعوة: [هي دعوة الناس إلى الإسلام بالقول والعمل][(٢)].

وعرَّفها بعضُ أهل العلم من المعاصرين بقوله: [تبليغ الإسلام للناس وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة][(٣)].

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٥/ ١٥٧).
(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٥٣).
(٣) انظر: «المدخل إلى علم الدعوة» ص[١٧].

إذن فالدعاة هم: الداعون إلى الله تعالى، على بصيرة.

والبصيرة معناها: اتباع هدي رسول الله ﷺ وهو الفقه في الدين.

وأول من تتوفر فيه هذه الصفات - لا شك أنهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، ولأنَّ الرسولَ ﷺ أُمِر أنْ يقول بأنَّ سبيله الدعوة إلى الله على بصيرة، ولا تأتي البصيرة إلا بالعلم والفقه في الدين، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

قال الحافظ ابن كثير رحمة الله تعالى عليه في تفسير هذه الآية:

[يقولُ تعالى لرسولِهِ ﷺ إلى الثقلين آمرًا له أن يخبر الناس أنَّ هذه سبيله أي طريقته ومسلكه وسنته وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،

يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسولُ الله ﷺ على بصيرةٍ ويقين وبرهان عقلي وشرعي][(١)] اهـ.

ولا شك أنَّ أتباع الأنبياء بالأولى هم العلماء.

فالعلماء هنا المقصود بهم: العالمون بشرع الله جلَّ في علاه، والمتفقهون في الدين، والعاملون بعلمهم على هدى وبصيرة، على سنة رسول الله ﷺ الصحيحة الصريحة، وبفهم سلف الأمة الصالح، الداعون إلى سبيل الله تعالى بالحكمة التي وهبهم الله إياها: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

والحكمة معناها كما فسرها السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين بقولهم: العلم بكتاب الله تعالى. قاله أبو العالية رحمة الله تعالى عليه.

وقال قتادة رحمة الله تعالى عليه: السنة.

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٤٤).

وقال شُريح رحمة الله تعالى عليه: العلم والفقه[١].

فعلى هذا فالعلماء بهذا التعريف: هم الدعاة بداهة، وبما أنَّ العلماء هم ورثة الأنبياء كما جاء في الحديث الصحيح، والأنبياء هم الدعاة إلى سبيل الله تعالى، فأجْدرُ وأحقُ مَنْ يتصدر الدعوة بعد الأنبياء صلواتُ ربي وسلامُه عليهم أجمعين - وقد انقضت النبوة وانتهت: هم العلماء وذلك لأنهم ورثتهم.

والأنبياءُ لم يورِّثوا درهمًا ولا دينارًا، إنما ورَّثوا هذا العلم.

والدعوة إنما تكون بالعلم، فأهلُ العلم هم الدعاة.

والدعوة: هي السعي الحثيث لنشر دين الله عز وجل عقيدة وشريعة وحكمًا وتحاكمًا وأخلاقًا وتعاملًا، وبذل الوسع وأقصى الجهد في ذلك، ويتحقق هدف الدعوة إلى الله بالعلم والعمل والقدوة الحسنة، والصلاح والإصلاح والاستقامة

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٥/ ١٦٢).

والإخلاص والتجرد لله تعالى، مع القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه الأركان أكثر ما تتوفر في العلماء.

ومن هذه التعريفات: يتضحُ لنا بجلاء أنَّ موضوع الدعوة هو الإسلام كله عقيدة وشريعة، علمًا وعملًا، فكرًا وسلوكًا، أخلاقًا ومعاملة، وأنَّ المدعوين هم جميع الناس كل بحسب حاله: فالكافرون مثلًا يُدْعَون إلى الدخول في الإسلام، والمقصرون في العمل يُدْعَون إلى صدق الالتزام، والعصاة والمسرفون يُدْعَون إلى المبادرة بالتوبة بترك الذنوب والآثام وهكذا.

فالداعي: هو الذي يدعو إلى أمرٍ ما (والجمع دعاة وداعون) والداعي والداعية واحد، والهاء فيه للمبالغة. فالداعية إذن: هو المؤهلُ القائم بترغيب الناس في الإسلام، وحثهم على التزامه قولًا وفعلًا بالوسائل المشروعة.

فإذا دعا الرجلُ بلا علم أفسدَ عقائد الناس ودينهم لذا قال النبيُ ﷺ : «**إنَّ الله تعالى: لا يقبضُ العلمَ انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكنْ يقبضُ العلمَ بقبض العُلماءِ، حتى إذا لم يُبْقِ عالمًا اتخذ الناسُ رؤساء جُهَّالًا فسُئلوا، فأفتوا بغير علمٍ، فضلُّوا وأضلوا**»[١].

وفي مقابل ذلك نقولُ بوضوح تام: ليس فشل داعية من الدعاة في جذب الناس إلى دعوته كونه ليس مخلصًا أو أنه لا يَحْملُ حقًا يدعو إليه، ومَنْ شك في ذلك فليراجع إيمانه، فالأنبياء صلواتُ ربي وسلامُه عليهم أجمعين هم صفوة الخلق، وحملة دعوة الحق، ومع ذلك منهم مَنْ لمْ يستجب لدعوته أحدٌ من الناس، كما أخبرنا بذلك الصادق المصدوق ﷺ .

فقد أخرج الشيخان (البخاري ومسلم) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ :

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

«**عُرضت عليَّ الأممُ، فرأيت النبيَّ ومعه الرهطُ، والنبيَّ ومعه الرَّجلُ والرجلان، والنبيَّ وليس معه أحدٌ.......**» الحديث.

وهذا قطعًا وبداهة لا يدلُ على عدم نجاح هؤلاء الأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين في دعوتهم إلى دين رب العالمين، وإنما يَدلُ على عدم وجود القابلية عند المدعوين وطمس الله عز وجل لبصائرهم وطبعه على قلوبهم، والعياذ بالله تعالى.

إذن فالمقصود هو تحقيقُ غاية الدعوة إلى الله تعالى، ومعلومٌ أنَّ النجاح الأتم في الدعوة هو قبول الحق والإذعان له والعمل به، ورفض الباطل والإقلاع عنه والتخلص منه، فهو قناعة نظرية واستجابة عملية ولكن حصول الإعراض وعدم القبول ليس دليلًا على عدم نجاح الداعية إذ إنَّ الهداية من عند الله تبارك وتعالى، وقد قال عز وجل مخاطبًا نبيَه المصطفى ﷺ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦].

ومِن كل ما سبق ذكره نخلصُ إلى القول بأن النجاح إذن: هو القيام بالواجب المطلوب على الوجه الأكمل وكثيرًا ما تتحقق به النتائج، وقد تتخلف لحكمة بالغة بالغة لا يعلمها إلا الله الحكيم العليم.

إذن هذا هو الميزان الذي يجب علينا مراعاته عند الحكم على جهود أي شخص يحمل منهجًا أو يدعو إلى شيءٍ ما، وكما قال شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمة الله تعالى عليه: [ومِن المعلوم أنَّ مجرد نفور النافرين، أو محبة الموافقين، لا يدلُ على صحةِ القول ولا فساده، إلا إذا كان بهدي من الله].

ثم بعد ذلك نقولُ: الذي يميز دائمًا وأبدًا دعوة أهل الحق هو اهتمامهم الشديد جدًا جدًا بأهم جوانب الدعوة على الإطلاق، ألا وهو جانب العقيدة الإسلامية الصافية التي تعتمدُ في أساسها على الكتاب العزيز والسنة الصحيحة الصريحة الثابتة من جهة الإسنادِ السالم من العلة والشذوذ والمُعَارِض، مع أخذهم بجميع جوانب الإسلام العلمية

والعملية فلا يُفرقون بين جانب وآخر، ولكن يُقدمون الأهم ثم المهم وهكذا...، ودائمًا نقولُ ونؤكدُ أنَّ: العقيدة أولًا وأساسًا لو كانوا يعلمون.

وصدق مَنْ قال:

ما تعلمت العبيدُ أفضلَ من التوحيد

فالمصطفى ﷺ بدأ بالإيمان والتوحيد ثم شُرعت الشرائع وفُرضت الفرائض، لأنَّ العقيدة هي الأساس والشريعة هي البناء، ولا بناء من غير أساس ولا عمل مقبول من غير توحيدٍ وإخلاص.

[والدعاةُ عليهم أنْ يَسْلكوا سبيله وأنْ يقتفوا أثره بادئين بالأهم فالمهم، ولكن إذا كان المجتمع مسلمًا ساغ للداعي أنْ يدعو إلى الأهم وغيره «بل يجبُ ذلك عليه» لأنَّ المطلوب إصلاح المجتمع المسلم وبذل الوسع في تطهير عقيدته من شوائب الشرك ووسائله، وتطهير أخلاقه مما يضر بالمجتمع ويضعف إيمانه ولا مانع من البدء بعض الأوقات بغير الأهم

إذ لم يتيسر الكلام في الأهم ولا مانع أيضًا من اشتغاله بالأهم وإعراضه عن غير الأهم إنْ رأى المصلحة في ذلك أو خاف إن هو اشتغل بهما جميعًا أن يخفق فيهما جميعًا][(١)].

وهذا الأمر ينبغي أن يُفهم فهمًا صحيحًا، وأن يُطبق تطبيقًا سليمًا من غير إفراطٍ ولا تفريطٍ، فالمرادُ بالبدء بالعقيدة التركيز على أصولها وأركانها وهو ما يَجِبُ على المكلف اعتقاده، إذ يجب عليه أنْ يؤمن بالله ورسوله ويقر بجميع ما جاء به الرسول من أمر الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وما أمر به الرسولُ ونهى، بحيث يقر بجميع ما أخبر به وما أمر به فلا بد من تصديقه والانقياد له فيما أمر، وأما التفصيل فعلى كل مكلف أن يقر بما ثبت عنده من أن الرسول أخبر به وأمر به، وأما ما أخبر به الرسول ولم يبلغه أنه أخبر به ولم يمكنه العلم بذلك فهو لا يعاقب على ترك الإقرار به مفصلًا وهو داخل في إقراره بالمجمل العام، ثم إنْ قال

---

(١) انظر: «مجموع فتاوى ابن باز» (١/ ٣٢٥).

بخلاف ذلك متأولًا كان مخطئًا يُغفر له خطؤه، إذا لم يحصل منه تفريط ولا عدوان، ولهذا يجب على العلماء من الاعتقاد ما لا يجب على آحاد العامة، ويجب على من نشأ بدار علم وإيمان من ذلك ما لا يجب على من نشأ بدار جهل[١].

وفي هذه العجالة العجلة أقولُ:

علينا أنْ نرجع إلى الأصول والقواعد التي قررها العلماءُ الربانيون، وعلى ضوئها نقوم بعرض كل دعوة عليها، فما وافق منها الحق قبلناه، وما خالفه تركناه.

وكما قال أميرُ المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: اعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف من أتاه.

وقال محمد بن سيرين رحمة الله تعالى عليه: إنَّ هذا الأمر دين، فانظروا عمن تأخذوا دينكم.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٢٧- ٣٢٨).

❁ وذكر أهلُ العلم شروطًا عامة في صفات الناقل للعلم، منها:

أن يكون عدلًا مرضيًا في دينه وصدقه وأمانته ونحو ذلك.

قال إبراهيمُ النخعي رحمة الله عليه: [كانوا إذا أرادوا أن يأخذوا عن الرجل نظروا إلى صلاته، وإلى هيئته، و إلى سنته].

وكان الأوزاعيُ إمام أهل الشام رحمة الله عليه يقولُ: [خُذْ دينك عمّن تثق به وترضى عنه].

ولنضرب مثالًا يتضحُ به ما قلناه: فقد بوَّب الإمامُ البخاري رحمة الله تعالى عليه في صحيحه الجامع بابًا قال فيه: بابُ العلم قبلَ القول والعمل لقول الله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾.

[محمد: ١٩]

قال بعضُ السلف: (وهو مروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وسفيان الثوري رحمة الله تعالى عليه نحوه).

هتف العلمُ بالعملِ فإنْ أجابَه وإلا ارتحل

وقال ابن القيم رحمة الله تعالى عليه في قصيدته النونية:

وعـــالمٌ بـعـلـمـه لمْ يَـعْـمَـلَّـن

مُـعَـذبًـا مِــن قـبـل عُـبَّــادِ الوثن

وكما قال أهلُ العلم: علمٌ بلا عمل، كشجر بلا ثمر.

وقال بعضُهم: علمٌ بلا عمل وبالٌ، وعملٌ بلا علم ضلالُ، ولذلك ذم الله تعالى اليهود - لعنهم الله - ووصفهم بالمغضوب عليهم، لأنهم علموا الحق ولم يقولوا به ولم يعملوا بمقتضاه، وعاب النصارى ووصفهم بالضالين، لأنهم عملوا بلا علم، وقبَّح فعل المنافقين وتوعدهم بالعذاب الأليم، والخلود في أسفل دركات الجحيم، وأمرنا سبحانه وتعالى أنْ

نسأله الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين، وحسُن أولئك رفيقًا، ذلك الفضل من الله وكفى به عليمًا.

قال الحافظ ابن الجوزي رحمة الله تعالى عليه: المسكين كل المسكين مَنْ ضاع عمره في علم لم يعملْ به، ففاته لذات الدنيا وخيرات الآخرة، فقدم مفلسًا مع قوة الحجة عليه.

ولهذا قال الإمامُ ابن القيم رحمة الله تعالى عليه: لو نفع العلم بلا عمل لما ذم الله سبحانه أحبار أهل الكتاب، ولو نفع العمل بلا إخلاص لما ذم المنافقين(١).

وكما قال عمر بن عبد العزيز رحمة الله تعالى عليه: [مَنْ عبَد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله تعالى عليه: وهذا ظاهر فإنَّ القصد العمل، والعمل إن لم يكن بعلم كان جهلًا وضلالًا واتباعًا للهوى(٢). اهـ

---

(١) انظر: «الفوائد» ص [٣٦].

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ١٣٦- ١٣٥).

تعلمْ إذا ما كنتَ ليس بعالم

فما العلمُ إلا عند أهل التعلُّم

تعلمْ فإنَّ العلم زينٌ لأهله

ولن تستطيع العلمَ إنْ لم تعلم

تعلم فإنَّ العلم أزين بالفتى

من الحلة الحسناء عند التكلم

ولا خير فيمن راح ليس بعالم

بصير لما يأتي ولا متعلم

وهنا يَردُ سؤالٌ في غاية الأهمية، وهو:

ما أهم مقومات الداعية الإسلامي؟؟؟

الجواب: أهم مقومات الداعية الإسلامي هي:

أولًا- الإخلاصُ للّه تعالى

فإنه روحُ الدين ولبابُ العبادة وأساسُ أي داع إلى الله وهو في حقيقته قوة إيمانية، وصراع نفسي، يدفع صاحبه – بعد جذب وشد – إلى أنْ يتجرد من المصالح الشخصية، وأنْ

يترفع عن الغايات الذاتية، وأنْ يقصد من عمله وجه الله جل في علاه لا يبغي من ورائه جزاءًا ولا شكورًا، فالمخلصون [أعمالهم كلها لله، وأقوالهم لله، وعطاؤهم لله، ومنعهم لله، وحبهم لله، وبغضهم لله، فمعاملتهم ظاهرًا وباطنًا لوجه الله وحده](١).

والإخلاصُ للداعية ألزم له من كل أحد وأهميته تفوق كل أمر، وهو استجابة لأمر الله سبحانه القائل: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥].

وفي تركه خوف من الحرمان برد الأعمال ومنع التوفيق، لأنَّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣].

(١) انظر: «تهذيب مدارج السالكين» ص [٦٨].

ويقولُ سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: «**إني أغنى الشركاء عن الشريك، فمَنْ عمل عملًا أشرك فيه غيري، فأنا منه بريء هو للذي عَمِله**»(١).

وفي لفظٍ عند مسلم: قال الله تعالى: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَنْ عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركتُه وشِركَه**».

وقال ﷺ: «**إنَّ الله تعالى: لا يَقبلُ من العمل إلا ما كان لهُ خالصًا، وابْتُغِيَ به وجهُهُ**»(٢).

وفيه وقاية من عذاب الآخرة الذي توعَّد به الرسولُ ﷺ مَنْ عمل بلا إخلاص عندما ذكر أول ثلاثة تسعّر بهم النار وهم: «**شهيد (مجاهد)، وعالم (قاريء)، وغني، لم يقصدوا بأعمالهم وجه الله**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه النسائي من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وحسنه الشيخ الألباني رحمة الله تعالى عليه في «صحيح الجامع» (١/ ٣٧٩) حديث رقم [١٨٥٦].

(٣) أخرجه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فلا بد والأمر كذلك من تحري الإخلاص، والحذر مما يضاده من الرياء والشرك، فإنه: [لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار والضب والحوت][1].

والمفروض أنَّ الداعية الذي يخشى الله تبارك وتعالى، المعظم لأمره جل في علاه، قد بلغ من درجات ومنازل الإيمان منزلة تجعل رجاءه في الله وحده يسبق كل رغبة إلى مخلوق مهما كان، ومَنْ كان، والإخلاص يجعل للكلمات حيوية مؤثرة، وللدعوة قبولًا سريعًا، ومفعولًا أكيدًا. وكما قيل: الكلام إذا خرج من القلب، وقع في القلب، وإذا خرج من اللسان، لم يبلغ الآذان.

فما أحوج أكثر الدعاة في هذا العصر إلى هذا الأصل، الذي من أجله يعاديهم أعداؤهم، وإذا لم يحققوه في دعوتهم، اختلط الإيمان بالكفر والحق بالباطل، فحصل الضلال والإضلال، نعوذ بالله تعالى من الخذلان.

---

(١) انظر: «الفوائد» ص[١٦١].

ثانيًا- الصبر

الصبرُ من فروض الإسلام، وهو نصف الإيمان، وذُكر في القرآن الكريم في أكثر من مائة موضع، وهو من الصفات اللازمة لكل إنسان، إذ بدونه لا يستطيع بلوغ ما يريد، لأنَّ المراد غالبًا لا يُنال إلا بتحمل المكاره، وهذا مطرد في جميع أمور الحياة، وإذا كان الصبر ضروريًا لأي إنسان، لاسيما المسلم، فإنه للداعية أشد ضرورة من غيره، لأنه يعمل في ميدانين: ميدان نفسه، يجاهدها ويحملها على الطاعة ودوام التقوى، ويمنعها من المعصية واتباع الهوى.

وميدان الدعوة إلى الله تعالى، فيحتاج إلى قدر كبير جدًا من الصبر في المجالين، مجال النفس، ومجال الدعوة، حتى يستطيع تجاوز الصعاب والعقبات وتحمل الأذى والمضايقات.

فيجب أن يكون الداعية صابرًا على دعوته، صابرًا على ما يدعو إليه، صابرًا على ما يعترض دعوته، صابرًا على ما يعترضه هو من الأذى.

أن يكون صابرًا على الدعوة: أي مثابرًا عليها لا يقطعها ولا يمل، بل يكون مستمرًا في دعوته إلى الله بقدر المستطاع وفي المجالات التي تكون الدعوة فيها أنفع وأولى وأبلغ، وليصبر على الدعوة ولا يمل، فإنَّ الإنسان إذا طرقه الملل استحسر وترك، ولكن إذا كان مثابرًا على دعوته فإنه ينال أجر الصابرين من وجه، وتكون له العاقبة من وجه آخر، واستمع إلى قول الله عز وجل مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩].

ولابد أن يكون الإنسان صابرًا على ما يعترض دعوته من معارضات ومجادلات لأنَّ كل إنسان يقوم داعيًا إلى الله عز وجل لابد أنْ يُعارض: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣١].

فكل دعوة حقة لابد أنْ يقوم لها معارض أو معارضون، لابد أنْ يقوم لها ممانعون، ومجادلون فيها ومشككون، ولكن يجب على الداعية أن يصبر على ما يعترض دعوته حتى لو وصفت تلك الدعوة بأنها خطأ أو أنها باطل وهو يدرك أنها مقتضى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فليصبر على ذلك.

كذلك لابد أنْ يكون الداعية صابرًا على ما يعترضه هو من الأذى لأنَّ الداعية لابد أنْ يُؤذى إما بالقول وإما بالفعل أو بهما معًا، وهاهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أوذوا بالقول وأوذوا بالفعل اقرأ قولَ الله عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾[الذاريات: ٥٢].

والدعاةُ إلى الله تعالى يَكيدُ لهم أهلُ الباطل ويفترون عليهم الكذب ويؤذونهم بأنواع الأذى، وقد أوذي أصحابُ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رضي الله عنهم أجمعين في مكة أشد الأذى، وكان رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمرهم بالصبر، فعلى

الداعي المسلم أنْ يُقابل الأذى الذي يلقاه بالصبر الجميل، كما فعل رسولُ الله ﷺ وصحابتُه الكرام ومن قبلهم رسلُ الله صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين، فإنَّ هذا الصبر مما ينعقد عليه عزم المؤمنين وتتوجه إليه إراداتهم، واقرأ قولَ الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [لقمان:١٧].

إذن فكل داعية إلى الله تعالى وإلى اتباع هدي رسوله ﷺ لابد أنْ يناله أذى ولكن عليه أنْ يصبر، ولهذا لما قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ﴾ [الإنسان: ٢٣].

قال -عز وجل- عقبها مباشرة: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴾ [الإنسان: ٢٤].

إشارة إلى أنَّ كل مَنْ قام بهذا القرآن فلابد أنْ يناله ما يناله من الأمور التي تحتاج إلى صبر عظيم، فعلى الداعية أن يكون صبورًا ومصابرًا وأن يستمر في طريقه حتى يفتح الله

سبحانه له، وليس من الضروري أن يفتح الله تبارك وتعالى له في حياته، بل إنَّ المهم أنْ تبقى دعوته بين الناس ناصعة متبوعة، ليس المهم الشخص ولكن المهم الدعوة فإذا بقيت دعوته ولو بعد موته، فإنه حي قال الله عز وجل: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

ففي الحقيقة أنَّ حياة الداعية ليس معناها أنْ تبقى روحه في جسمه فقط بل أنْ تبقى مقالته حية بين الناس، وانظر إلى قصة أبي سفيان مع هرقل وكان قد سمع بمخرج النبي ﷺ، دعا أبا سفيان فسأله عن النبي ﷺ، عن نسبه، وما يدعو إليه، وأصحابه ومَنْ يتبعه، فلما أخبره أبو سفيان عما سأله عنه قال هرقل له: «إنْ كان ما تقول حقًّا فسيملك موضع قدمي هاتين»[1].

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

سبحان الله من يتصور أنَّ ملِكًا إمبراطوريًّا كما يقولون يقول مثل هذا القول في رسول الله ﷺ، وهو مع ذلك لم يحرر جزيرة العرب من رق الشيطان وعبادة الأصنام والهوى، ومَّنْ يتصور أنَّ مثل هذا الرجل يقول مثل هذا القول؟

وقد ملك النبيُ ﷺ ما تحت قدمي هرقل بدعوته لا بشخصه، لأنَّ دعوته أتتْ على هذه الأرض واكتسحت الأوثان والشرك وأصحابه، وملكها الخلفاءُ الراشدون بعد رسول الله ﷺ، ملكوها رضي الله عنهم بدعوة النبي ﷺ، وبشريعة النبي ﷺ.

إذن على الداعية أنْ يصبر وستكون العاقبة له إذا كان صادقًا مع الله سواءً في حياته أو بعد مماته.

قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

و قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

ثالثًا- حُسْنُ الصلة بالله سبحانه وتعالى

والمقصودُ بها إقامة الفرائض، والاستكثار من النوافل، والاشتغال بالأذكار، والمداومة على الاستغفار وكثرة التلاوة القرآنية، والحرص على المناجاة الربانية، وغير ذلك من القربات والطاعات، لأنَّ العبادة زاد يتقوى به الداعية، فالصلاة صلة بينه وبين مولاه جل وعلا، فكلما اقترب العبد من ربه سبحانه وتعالى كلما رأى الأمور على حقيقتها وقدَّرها حق قدرها ووزنها بميزان الحق، ولا مناص من تميزه في حرصه عليها، وتبكيره إليها، وخشوعه فيها، وتطويله لها، وشهودها مع الجماعة وله في ذلك قدوات سالفة فسعيد بن المسيب – رحمة الله تعالى عليه – [ما فاتته الصلاة في الجماعة أربعين سنة] وهو القائلُ رحمة الله تعالى عليه: [ما أذَّن المؤذِّن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد][1].

---

(١) انظر: «نزهة الفضلاء» (١/ ٣٧٠).

وهذا الربيع بن خثيم رحمة الله تعالى عليه كان يُقاد إلى الصلاة وبه الفالج، فقيل له: قد رُخِّص لك قال: إني أسمع (حيَّ على الصلاة) فإنْ استطعتم أنْ تأتوها ولو حبوًا[١].

ولستُ أدري كيف يكون داعيةً مَنْ يتخلفُ عن الصلوات في الجماعات سيما في صلاتي الفجر والعصر مع ما ورد في أدائهما خصوصًا من تعظيم الأجر، وما جاء في فواتهما من التحذير من الإثم والوزر، وقد ترخص كثيرون في ذلك فلا يهمهم التبكير، ولا يعنيهم إدراك التكبير، ولستُ أدري ما يقولُ هؤلاء إذا سمعوا مقالة إبراهيم بن يزيد التيمي رحمة الله تعالى عليه : [إذا رأيتَ الرجل يتهاونُ في التكبيرة الأولى فاغسل يدك منه][٢].

وبماذا يعلقون إذا علموا أنَّ سعيد بن عبد العزيز التنوخي – رحمة الله تعالى عليه – [كان إذا فاتته صلاة الجماعة بكى][٣].

---

(١) انظر: «نزهة الفضلاء» (١/ ٣٨١).

(٢) انظر: «نزهة الفضلاء» (١/ ٤٦٨).

(٣) انظر: «نزهة الفضلاء» (٢/ ٦١١).

والحقيقة أنَّ الحديث حول هذا الأمر يطولُ، والتفريطُ فيه من بعض مشاهير الدعاة كثيرٌ وخطيرٌ، ونصوصُ الكتابِ العزيز والسنةِ النبوية المطهرة أشهر من أنْ تذكر.

رابعًا- السلوك (القدوة الحية)

القدوة والأسوة والسلوك بمعنى واحد ويُقصد بها السير والاتباع على طريق المقتدى به، ولا يخفى على أحد أبداً أثر القدوة فهي الصورة الحية للفكرة، والتطبيق العملي للدعوة، والتوضيح الجلي للحجة، والسلوك القويم للمحجة، ولا شك أنها من أعظم أسباب بذر المحبة في القلوب، ووجود القناعة في العقول [وكثيرٌ مِن المدعوين ينتفعون بالسيرة أكثر مما ينتفعون بالأقوال ولا سيما العامة وأرباب العلوم القاصرة فإنهم ينتفعون من السيرة والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة ما لا ينتفعون من الأقوال التي قد لا يفهمونها، فالداعي إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- من أهم المهمات في

حقه أن يكون ذا سيرة حسنة وذا عمل صالح وذا خلق فاضل حتى يُقتدى بأفعاله وأقواله][١].

قلتُ: من المعلوم [أن التأسي بالأفعال - بالنسبة إلى مَنْ يُعظَّم في الناس - سرٌ مبثوثٌ في طباع البشر، لا يقدرون على الانفكاك عنه بوجهٍ ولا بحال، لا سيما عند الاعتياد والتكرار][٢].

وفي كثير من الأحيان تكون القدوة الحسنة مغنية عن كثير من أساليب الترغيب والتشويق وأسباب تحصيل المحبة، وكذلك تعفي من الاستكثار من الاستدلال، وإقامة الحجة والمناظرة والجدال، إذ يتحقق من خلال القدوة الكثير من ذلك بشكل تلقائي وبصورة أعمق وأثبت حيث إن القدوة [تساعد على تكوين الحافز في المتربي دونما توجيه خارجي][٣].

---

(١) انظر: «مجموع فتاوى ابن باز» (٣/ ١١٠).

(٢) «الموافقات» (٤/ ٢٤٨- ٢٤٩).

(٣) انظر: «القدوة مبادئ ونماذج» ص[٨].

فيحصل التأثر والاقتداء وتكون الاستجابة قوية وهي في الوقت نفسه سهلة وتلقائية [حتى إذا أحببت الاقتداءَ به من غير سؤالٍ أغناك عن السؤال في كثير من الأعمال، كما كان رسول الله ﷺ يُؤخذ العلم من قوله وفعله وإقراره][١].

ولله در ابن القيم رحمة الله تعالى عليه حيث قال: [إنَّ الناس قد أحسنوا القولَ فمَنْ وافق قوله فعله فذاك الذي أصاب حظه، ومَنْ خالف قوله فعله فذاك إنما يُوبِّخ نفسه][٢].

ولا بد من التأكيد على أهمية عنصر القدوة وخطورة انعدامه حيث [يستطيع الإنسان أنْ يكون عالمًا جهبذًا في الكيمياء أو العلوم أو الطب أو الهندسة أو غير ذلك من العلوم التي أمرنا الله بتعلمها لتعمر الدنيا ولكن هذه العلوم لا تتطلب منا قيدًا سلوكيًا، فقد تكون عالمًا في أي فرع من

(١) انظر: «الموافقات» (٤/ ٢٧٠ - ٢٧١).

(٢) انظر: «الفوائد» ص[١٥٩].

هذه العلوم وسلوكك تبعًا لهواك ولكن هذا لا يفسد الحقيقة أنك عالم في علمك لأن النبوغ لا يضع قيدًا على الأخلاق، إلا علم الدين فإنك إنْ كنت من علمائه أو الداعين إليه أو المتدينين المخلصين لا بد أنْ تكون قدوة حسنة لما تدعو إليه وإلا ما استمع إليك أحد](١) .

ولهذا قال أميرُ المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إنما زهد الناس في طلب العلم لما يرونه من قلة انتفاع مَنْ عَلِمَ بما علم(٢) .

ونقل الإمامُ ابن القيم رحمة الله تعالى عليه عن محمد بن الفضل الصوفي الزاهد رحمة الله تعالى عليهم جميعًا قوله: [ذهاب الإسلام على يدي أربعة أصناف من الناس: صنف لا يعملون بما يعلمون، وصنف يعملون بما لا يعلمون، وصنف لا يعملون ولا يعلمون، وصنف يمنعون الناس من التعلم](٣) .

(١) انظر: «الدعوة قواعد وأصول» ص[١١١].

(٢) انظر: «أدب الدنيا والدين» ص[٨٢].

(٣) انظر: «مفتاح دار السعادة» ص[١٦٨].

فعندما يلتزم الداعية في نفسه بما يدعو إليه ينفع الله به، فهو دعاية للإسلام بسمته وفِعاله، ودعاية إلى الله بأقواله وأحواله، أما إذا خالف قوله فعله فتلك قاصمة الظهر، قال سبحانه وتعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣].

ولله در القائل:

لا تنه عن خُلقٍ وتأتي مثله

عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

وحسب المسلم قول الله جل في علاه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ - ٣].

فمن الواجب على الداعية أن يكون متحليًا بعمارة ظاهره وباطنه، محافظًا على شعائر الإسلام، مظهرًا للسنة وناشرًا لها بالعمل بها، والدعوة إليها، دالًا على الله تعالى بعلمه وسمته وعمله.

ولهذا نقولُ: أنفعُ شيءٍ في هذا المجال للداعي المسلم أنْ يتفقه في سنة رسول الله ﷺ وسيرته في الدعوة إلى الله تعالى منذ أنْ بعثه الله -جل وعلا- إلى أنْ اختاره إلى جواره الكريم، ووجه هذا النفع للداعي أنَّ سيرة رسول الله ﷺ هي ترجمة عملية للمنهج الرباني للدعوة إليه الذي جاءت به آيات الله في قرآنه وما من حالة قط يمر بها الداعي إلى الله إلا يجد مثيلها أو شبيهًا لها أو قريبًا منها في سيرة النبي ﷺ وكيف تصرف إزاءها سيدُ الدعاة ﷺ إلى الله جل وعلا.

إنَّ التفقه في السيرة النبوية إذا انضم إلى التفقه في القرآن لا سيما فيما يخص الدعوة إلى الله، يجعل الداعي على نور من ربه وفرقان مبين يبين له الصواب في الأمور المشتبهة والدقيقة.

فمتابعة الرسول ﷺ في هديه في جميع أحواله بالإضافة إلى طاعة أمره والابتعاد عما نهى عنه امتثالًا لقول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

فهو ﷺ قدوة الداعي إلى الله تعالى، يقتدي به في سيرته في دعوته إلى الله خطوة خطوة، قال تبارك وتعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

خامسًا: العلم الشرعي

قبل الشروع في بيان أهمية العلم الشرعي ومكانته في الدعوة، نقولُ فقط من باب التذكير بما هو معلومٌ لدى عموم المسلمين بأنَّ أول كلمة نزلت من الوحي على رسول الله ﷺ هي «اقرأ»، وأيضًا لم يأمر المولى -عز وجل- نبيَه ﷺ أنْ يطلب منه المزيد من شيء سوى العلم، فقال جل وعلا: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

ولذلك صرح كثيرٌ من الأئمة الأعلام بأنَّ أفضل الأعمال بعد الفرائض طلب العلم(١).

(١) ومن أراد المزيد في بيان ذلك فليراجع «مفتاح دار السعادة» لابن القيم رحمة الله تعالى عليه (١/ ١٢٧- ١٢٩).

وعلى المسلم عمومًا والداعيةِ على وجه الخصوص أنْ يستزيد من هذا العلم الشرعي النافع ليعرف موضوع دعوته، وليكون فيها على بصيرة وبينة فلا يأمر إلا بحق ولا ينهى إلا عن باطل.

فالعلمُ أساسٌ لا بد منه، فإنه العدَّة التي بها يُعلِّم الداعيةُ الناس أحكام الشرع، ويبصرهم بحقائق الواقع، ويكون مبدعًا في التوعية والتوجيه والارشاد، ويتمكن من الإجابة - في حدود ما يعلمه بدليله - على ما يُطرح من تساؤلات، وبه أيضًا يكون قادرًا على الإقناع وتفنيد الشبهات التي يروجها أعداء الإسلام ودحضها بأدلةٍ وبراهين واضحاتٍ قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨٣].

وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها فهي لا تحصل إلاَّ بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل

لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حدٍ يصل إليه السعي[(١)].

ولا بد للداعية أنْ يعلم أنَّ [أولى العلوم وأفضلها علم الدين، لأن الناس بمعرفته يرشدون وبجهله يضلون][(٢)].

وعليك أيها الداعية [أنْ تأخذ الإسلام كله ولا تأخذ جانبًا دون جانبٍ، لا تأخذ العقيدة وتدع الأحكام والأعمال، ولا تأخذ الأعمال والأحكام وتدع العقيدة، بل خذ الإسلام كله، خذه عقيدة وعملًا وعبادة، وجهادًا واجتماعًا وسياسة واقتصادًا وغير ذلك، خذه من كل الوجوه كما قال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة: ٢٠٨][(٣)].

فالآخذ بالعلم الشرعي من مصادره الأصلية آخذ بالبداية الصحيحة، إذ العلم مقدمٌ على القول والعمل كما قال

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٦٢).

(٢) انظر: «أدب الدنيا والدين» ص[٤٤].

(٣) انظر: «مجموع فتاوى ابن باز» (١/ ٢٤٢).

سبحانه وتعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد: ١٩].

وبالعلم ينال الداعيةُ المخلصُ الرفعة في الميزان الرباني كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١].

ولأهل العلم في بيان «شرف العلم وفضيلته» مقالات رائعة منها:

قال الحافظ الخطيب البغدادي رحمة الله تعالى عليه: [قد جعل اللهُ العلمَ وسائل أوليائه، وعصم به من اختار من أصفيائه](١).

وقال أبو هلال العسكري رحمة الله تعالى عليه: [فعليك بالعلم فاطلبه في مظانه تأتك المنافعُ عفوًا وتلق ما يُعتمد منه صفوًا](٢).

(١) انظر: «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٧١).

(٢) انظر: «الحث على طلب العلم» ص[٤٣].

وقال ابن إسحاق بن أبي فروة رحمة الله تعالى عليه: [أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد، فأما أهل العلم فدلُّوا الناسَ على ما جاءت به الرسلُ، وأما أهل الجهاد فجاهدوا على ما جاءت به الرسلُ][١].

وهنا نجد أنفسنا بعد كل ما تقدم أمام سؤالٍ في غاية الأهمية وهو: أين تعلم أمثال هؤلاء (الدعاة المزعومين) العلمَ الشرعيَّ؟ اذكروا لنا شيوخهم الذين تعلموا العلم على أيديهم، فإنَّ النبي ﷺ قال: «**إنما العلمُ بالتعلم**...»[٢].

وبعدها نسألُ: (إنْ كان أحد هؤلاء تعلم) هل أجازه هؤلاء الشيوخ؟؟؟

---

(١) انظر: «الفقيه والمتفقه» (١/ ٣٥).

(٢) أخرجه الدارقطنيُ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والخطيبُ البغدادي من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وقال عنه الشيخُ الألباني رحمة الله تعالى عليه: حديث حسن، انظر «صحيح الجامع الصغير» وزيادته (١/ ٤٦١) حديث رقم [٢٣٢٨].

فإن قيل: بل اجتهد هو شخصيًا في تحصيل العلم!!!

فنقولُ: من الأقوال التي ينبغي أن تُنقش بسبائك الذهب، مقالة الإمام الشافعي رحمة الله تعالى عليه ورضي عنه: شرُ البليةِ تشيخ الصُحُفية. [أي الذين يأخذون العلم من الكتب دون متابعة شيخ أو عالم متمرس].

وقال رحمة الله تعالى عليه: مَنْ تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام.

ولذلك قال أهلُ العلم: كل مَنْ طلبوا العلم بدون شيخ أفسدوا.

ولهذا قال العلماء: لا تأخذ العلمَ من صَحَفي، ولا مِن مُصْحَفي.

وقالوا: مَنْ دخل في العلم وحده، خرج وحده.

وأنشد بعضُهم قائلًا:

مَنْ كان شيخه كتابه

فخطؤه أكثر من صوابه

وكان أبو حَيَّان كثيرًا ما يُنْشِدُ:

يَظنُّ الغمْرُ أنَّ الكُتبَ تَهدي

أخا فَهْمٍ لإدراكِ العُلومِ

وما يَدْري الجَهولُ بأنَّ فيها

غوامضَ حَيَّرَتْ عقلَ الفهيم

وإذا رُمْتَ العلومَ بغير شَيْخ

ضَللتَ عن الصراطِ المستقيم

وتلتبسُ الأمورُ عليك حتى

تصيرَ أضلَّ مِنْ توما الحكيم(١)

فالخوض في غمار الدعوة وميادينها فيما لا علم للداعي به، تترتب عليه آثارٌ وخيمة لأنَّ العاملَ على غير علم كالسالك على غير هدي، والعامل على غير علم ما يُفسد أكثر مما يصلح، وقد سبق بيان خطورة ذلك.

---

(١) انظر: «حلية طالب العلم» ص[٢٧].

وزيادة في التوضيح أقولُ: ليس بالضرورة أنْ يكون الداعية عالمًا جامعًا لكل العلوم، وليس من شرط الدعوة تمام العلم واستيفاء قدرٍ بعينه منه، وليست الدعوة مختصة بالعلماء وحدهم دون غيرهم، بل كل من علم من أحكام الإسلام شيئًا دعا إليه، وكل مَنْ علم منكرًا وعرف دليلَ حرمته نهى عنه، وإذا لم يكن الأمر كذلك تعطلت الدعوة ومات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومما سبق إيراده يتبين بوضوح وجلاء أنَّ الدعوة يُشترط لها العلم، [ولكن العلم ليس شيئًا واحدًا لا يتجزأ ولا يتبعض وإنما هو بطبيعته يتجزأ ويتبعض، فمنْ علم مسألة وجهل أخرى فهو عالمٌ بالأولى جاهلٌ بالثانية، ومعنى ذلك أنه يُعد من جملة العلماء بالمسألة الأولى، وبالتالي يتوفر فيه شرط وجوب الدعوة إلى ما عَلِم دون ما جهل، ولا خلاف بين الفقهاء، أنَّ مَنْ جهل شيئًا أو جهل حكمه أنه لا يدعو إليه، لأن العلم بصحة ما يدعو إليه الداعي شرط لصحة الدعوة، وعلى هذا فكل مسلم يدعو إلى الله بالقدر الذي يعلمه][١].

(١) انظر: «أصول الدعوة» ص(٢٩٩ - ٣٠٠).

وخيرُ مثالٍ نذكره هنا نأخذه من فعل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم أجمعين، فهذا الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه، وهو من السابقين إلى الإسلام قام بمهمة الدعوة بما معه من أصل التوحيد وبعض ما أنزل من القرآن، وهدى الله تعالى به فئامًا من الناس، ومن المعلوم أنَّ أبا ذر رضي الله عنه لم يَصلْ إلى المدينة النبوية ويلحق بالرسول صلى الله عليه وسلم إلاّ في العام السابع للهجرة وكان معه قبيلة أسلم، وقبيلة غفار قدم بهما مسلمتين، ونحن نعلمُ أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «**بلغوا عَنِّي ولو آية**»(١).

وقال أيضًا صلى الله عليه وسلم: «**نضَّر اللهُ امرأً سمع منَّا شيئًا، فبلَّغه كما سمعه، فرُبَّ مُبَلَّغٍ أوعى من سامع**»(٢).

ومن المؤكد أننا جميعًا نعلم الآيات والأحاديث التي تُحرم وتُحذر من خطورة القول على الله تعالى بغير علم، كما

---

(١) أخرجه البخاريُ وغيرُه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد والترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني رحمة الله تعالى عليه في «صحيح الجامع» (٢/ ١١٤٥) حديث رقم [٦٧٦٤].

في قوله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وكذلك الوعيد الشديد لمن دعا إلى شيءٍ لم يَعملْ به، قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢-٣].

أما الأحاديثُ الواردة في ذلك فيكفي منها حديثان:

الأول: قوله صلى الله عليه وسلم: **«مثلُ العالِمِ الذي يُعلمُ الناسَ الخير، وينسى نفسه، كمثل السِّراج يُضيءُ للناس، ويَحْرقُ نفسه»**[(١)].

الآخر: ما أخرجه الشيخان من حديث حِب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبي زيد أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال: سمعتُ

(١) أخرجه الطبراني والضياء المقدسي من حديث جندب رضي الله عنه، وصححه الشيخُ الألباني رحمة الله تعالى عليه في «صحيح الجامع» (٢/ ١٠١٥) حديث رقم [٥٨٣١].

رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**يُجاءُ بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار، فتندلق أقتابُه، فيدور بها في النار، كما يدور الحِمارُ برحاه، فيطيفُ به أهلُ النار، فيقولون: يا فلان! ما أصابك؟ ألمْ تكُن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقولُ: بلى، قد كنتُ آمركُم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكُم عن المنكر وآتيه**».

قال القرطبيُ رحمة الله تعالى عليه معقبًا على هذا الحديث: فدل الحديثُ الصحيحُ على أن عقوبة مَنْ كان عالمًا بالمعروف وبالمنكر، وبوجوب القيام بوظيفة كل واحد منهما أشد ممن لم يكن يعلمه، وإنما ذلك لأنه كالمستهين بحرمات الله تعالى، والمستخف بأحكامه، وهو ممَّنْ لم ينتفع بعلمه.

وكذلك ما ورد من الأحاديث الصحيحة الصريحة في إثم الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فمن المعلوم من دين الإسلام بالضرورة أنَّ الكذب على رسول الله ﷺ شيء خطير جدًا، وكثيرٌ من الناس يغفل

عنه، ومنهم مَنْ لا يعرف خطر الكذب على رسول الله ﷺ، وقد لا يتعمد الإنسانُ الكذبَ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكنه يكذب عليه من حيث لا يدري وذلك من خلال كتابة ونشر الأحاديث الموضوعة وهو لايعرف كونها أحاديث موضوعة ولا تصح، وقد قال رسولُ الله ﷺ: **«مَنْ حدَّث بحديثٍ وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»**[١].

وإليكم إخواني الأفاضل وأخواتي الفضليات بعض الأحاديث النبوية والآثار السلفية الصحيحة الصريحة -التي أخرجها الإمام مسلم رحمة الله تعالى عليه في مقدمة كتابه الصحيح- والتى جاء فيها التحذيرُ من الكذب على رسول الله ﷺ والتحذير من رواية الكذابين والاحتياط منها:

عن ربعي بن حِراش أنه سمع عليًا رضي الله عنه يخطب، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تكذبوا عليَّ فإنه مَنْ يكذب عليَّ يلج النار»**.

(١) أخرجه مسلم من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

وعن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: إنه ليمنعني أنْ أحدثكم حديثًا كثيرًا - أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ تعمد عليَّ كذبًا فليتبوأ مقعده من النار**».

وعن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : «**مَنْ كذب عليَّ متعمِدًا فليتبوأ مقعده من النار**».

وعنه أيضًا رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم**».

وعن مسلم بن يسار - رحمة الله تعالى عليه - أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : «**يكون في آخر الزمان دجَّالون كذَّابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم**».

وعن علي بن ربيعة - رحمة الله تعالى عليه - قال: أتيتُ المسجد، والمغيرة أمير الكوفة قال: فقال المغيرة: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**إن كذبًا عليَّ ليس ككذب على أحدٍ، فمن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**».

وعن مجاهد رحمة الله تعالى عليه قال: جاء بشيرُ العدوي إلى ابن عباس رضي الله عنهما فجعل يُحدث ويقول: قال رسولُ الله ﷺ، قال رسولُ الله ﷺ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه، فقال: يا ابن عباس! مالي لا أراك تسمع لحديثي؟ أحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع؟

فقال ابن عباس: إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلًا يقولُ: قال رسولُ الله ﷺ: ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناسُ الصَّعْبَ والذلول، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف.

عن محمد بن سيرين رحمة الله تعالى عليه قال: إنَّ هذا العلمَ دينٌ، فانظروا عمن تأخذون دينكم؟

وقال رحمة الله تعالى عليه: لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سموا لنا رجالكم، فيُنظرُ إلى أهل السنة فيؤخذ حديثُهم ويُنظرُ إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم.

وقال عبدان بن عثمان رحمة الله تعالى عليه، سمعتُ عبدَ الله بن المُبَارك - رحمة الله تعالى عليه - يقول: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال مَنْ شاء ما شاء.

فاحذر -وفقنا الله تعالى وإياك- من كتابة الأحاديث التى لا تعرف حكمها، و لا تعرف هل هى صحيحة أم موضوعة.

فإنَّ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس مثل الكذب على غيره.

و«**كفى بالمرء كذبًا أن يُحدِّث بكل ما سمع**»(١).

وعن أبي عثمان النهدي رحمة الله تعالى عليه قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع.

ومن هنا نلمس الأهمية العظمى للتثبت في أحاديث المصطفى ﷺ فيُصْطفى منها الصحيح والحسن، ويُهجرُ الضعيفُ والموضوعُ وهذا ما يَجبُ على أهل الحديث توضيحه وتقديمه للناس فهل يفعلون؟؟؟

ولقد أجاد الحافظ السيوطيُ رحمة الله تعالى عليه حين وضع كتابه القيم: «تحذير الخواص من أكاذيب القصاص» غيرةً على حديثِ رسول الله ﷺ في المقام الأول، وعلى خُلق (الصدّق) الذي لا ينبغي أن يساوم عليه المسلم في المقام الثاني، فقد اقض مضجعه، وارّق جفنه - رحمة الله تعالى عليه - ما اختلقه كثيرٌ من الوعاظ والقصاصين من الأكاذيب

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والخيالات والأساطير فضلًا عن الأحاديث والآثار الموضوعة على لسان رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين وما ذلك إلاّ لبساطة تفكيرهم، وضحالة عقولهم ورقة ديانتهم.

وإلاّ لكان لزامًا عليهم أن يتعلموا ويتفقهوا قبل أن يتصدروا ويتكلموا، كما كان واجبًا في حقهم أن يدركوا شناعة الكذب لا سيما على شخص رسول الله ﷺ القائل: «**من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**»[١].

فتبين مما أوردنا أنه لا يجوز نشر الأحاديث وروايتها دون التثبت من صحتها، وإنَّ مَنْ فعل ذلك فهو حسبه من الكذب على رسول الله ﷺ، فالحذر الحذر من كتابة الأحاديث التى لا تعرف حكمها، فإنَّ دفعَ المفسدة مقدمٌ على جلب المصلحة، كما هو مقررٌ في علم الأصول، والكذب على رسول الله ﷺ ليس فيه أيَّةُ مصلحة.

---

(١) سبق تخريجه.

«شبهة» والرد عليها

الشبهة: قد يقول قائل: إني عندما نشرتُ هذه الأحاديث الضعيفة لم أكن متعمدًا، فلا يلحقني إثم.

ويرد على هذه الشبهة محدثُ العصر فضيلة الشيخ العلامة ناصر الدين الألباني رحمة الله تعالى عليه فيقول:

(فإنهم وإنْ لم يتعمدوا الكذب مباشرة فقد ارتكبوه تبعًا، لنقلهم الأحاديث التي يقفون عليها جميعها، وهم يعلمون أنَّ فيها ما هو ضعيف وما هو مكذوب قطعًا، وقد أشار إلى هذا المعنى قولُه ﷺ: «**كَفى بالمرء كَذِبًا أنْ يُحَدِّثَ بكل ما سمعَ**»[(١)]، ثم روي عن الإمام مالك أنه قال: (اعلم أنه ليس يسلم رجل حدث بكل ما سمع، ولا يكون إمامًا أبدًا وهو يُحدثُ بكل ما سمع، وقال الإمام ابن حبَّان في «صحيحه» (ص ٢٧):

---

(١) أخرجه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة.

فصل: ذكرُ إيجاب دخول النار لمن نسب الشيء إلى المصطفى ﷺ وهو غير عالم بصحته، ثم ساق بسنده عن أبي هريرة مرفوعًا: «**مَنْ قال عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار**» وسنده حسن وأصله في «الصحيحين» بنحوه[1].

وقال أيضًا رحمة الله تعالى عليه: واعلم أنَّ مَنْ يفعل ذلك فهو أحدُ رجلين:

١- إمَّا أنْ يعرف ضعف تلك الأحاديث ولا يُنبِّه على ضعفها، فهو غاشٌّ للمسلمين، وداخلٌ حتمًا في الوعيد المذكور. قال ابن حبَّان في كتابه «الضعفاء» (١/ ٧ – ٨):

(في هذا الخبر دليلٌ على أنَّ المُحَدِّث إذا روى ما لم يَصِحَّ عن النبي ﷺ مما تُقُوِّلَ عليه وهو يعلم ذلك يكون كأحد الكاذبَيْن، على أنَّ ظاهرَ الخبر ما هو أشدُّ قال ﷺ: «**مَنْ روى عني حديثًا وهو يرى أنه كذب...**» – ولم يقل: إنه تيقَّن أنه كذب – فكل شاكّ فيما

(١) انظر: «مقدمة سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» (١/ ١١-١٢).

يروي أنه صحيح أو غير صحيح داخل في ظاهر خطاب هذا الخبر).

ونقله ابن عبد الهادي في «الصارم المنكي» (ص ١٦٥ – ١٦٦)، وأقره.

٢– وإما أنْ لا يعرف ضعفها فهو آثم أيضًا لإقدامه على نسبتها إليه ﷺ دون علم، وقد قال ﷺ: «**كفى بالمرء كَذبًا أنْ يُحَدِّثَ بكل ما سمع**».

فله حظٌّ من إثم الكاذب على رسول الله ﷺ، لأنه قد أشار ﷺ أنَّ من حَدَّث بكل ما سمعه – ومثله مَنْ كتبه – أنه واقعٌ في الكذب عليه ﷺ لا محالة، فكان بسبب ذلك أحد الكاذِبَيْن. الأول: الذي افتراه. والآخر: هذا الذي نشره!. قال ابن حبَّان أيضًا (١/ ٩): [في هذا الخبر زَجْرٌ للمرء أن يُحَدِّثَ بكل ما سمع حتى يعلم علم اليقين صحَّته] وقد صرَّح النووي بأنَّ مَنْ لا يعرف ضعف الحديث لا يَحِلُّ له

أن يهجم على الاحتجاج به من غير بحثٍ عليه بالتفتيش عنه إنْ كان عارفًا، أو بسؤال أهل العلم إنْ لم يكن عارفا)[١].

قلت: وقال الإمام النووي رحمة الله تعالى عليه: [لا فرق في تحريم الكذب عليه ﷺ بين ما كان في الأحكام وما لا حكم فيه كالترغيب والترهيب والمواعظ وغير ذلك فكله حرام من أكبر الكبائر وأقبح القبائح بإجماع المسلمين الذين يُعتد بهم في الإجماع][٢].

والخلاصة: علينا أنْ نأخذ الأمر بكماله وشموليته، وننظر إليه بعين الإنصاف، ونترك التعصب والإجحاف، والبعد التام عن الأخذ بجانبٍ واحدٍ، والنظر إلى أيَّةِ مسألةٍ من زاويةٍ واحدةٍ، وترك أهمها أو إهمال بقية الجوانب الأخرى.

وهنا يأتي السؤالُ: ما فائدة ما يقومُ به أحدُهم مثلًا:

---

(١) انظر: «مقدمة كتاب تمام المنة في التعليق على فقه السُّنة» ص (٣٣ – ٣٤).

(٢) انظر: «مقدمة شرح مسلم» (١/ ٧٠).

مِن دعوةٍ إلى الحجاب؟ والعمل الجاد والأخذ بالأسباب؟ [مع اعترافنا التام بأهمية العمل البناء الجاد، والأخذ بالأسباب وحاجة الأمة الماسة إليه، وحجاب المرأة المسلمة، لكن بما يقرره الشرعُ الحنيف من شروطٍ وأوصافٍ، وليس بما يتوافق مع الموضة أو الأعراف].

والاعتراضُ هنا على طريقة بسطها وأسلوب عرضها، وليس على أصل موضوعها، فليُعلم هذا جيدًا.

وفي الوقت نفسه، يتكلم بهذا الأسلوب المقيت البغيض عن رب العالمين.

ويطعن في قدرته جل وعلا حيث قال: (صعبٌ على الله أنْ يُغير واقع الأمة) - كَبُرت كلمةً تَخرجُ من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا - **فهل هذا القائلُ درس شيئًا من العقيدة؟؟** وينكر في تبجح مهين كون إبليس اللعين من الكافرين.

ويجدرُ بنا في هذا المقام أنْ ننقل للقراء الكرام نص فتوى

للعلامة الشيخ ابن عثيمين رحمة الله تعالى عليه تتعلق بهذا الأمر وردت في لقاءات الباب المفتوح.

السائلُ: يا شيخ ما حكم مَنْ قال: أنَّ إبليس ليس بكافر وأنه أقسم بعزة الله؟؟ الشيخُ: وقول الله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾؟ الذي يقول ليس بكافر.. يَجبُ أن يُسْتتاب، فإنْ تابَ وإلا قُتِل، لأنه كذّب القرآن، وإقسامه بعزة الله، لأنه يعرف بأن الله عزيز، فأقسم بعزة الله عز وجل، وهو أيضًا قال: إني أخاف الله ربّ العالمين: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ لكن هذا ليس خوف عبادة، هذا مثل ما نخاف نحن من الذئب، والسَبُع وما أشبه ذلك..

قل لهذا الأخ الذي قال ذلك.. قل له يتوب إلى الله عز وجل،، قل لهذا يتوب إلى الله عز وجل.. ولا يكذّب كلام الله عز وجل: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ اهـ

وزعمه أنَّ كل مَنْ يدين بأي دين سواء كان يهوديًا أو نصرانيًا أو صابئيًا فإنه في الآخرة من أهل الجنة والنعيم المقيم!!!

فأقولُ: يا ليت شعري مَنْ هم إذن أصحاب الجحيم؟؟

وهنا نتساءلُ ونقولُ: هل هذا المتكلمُ يَقرأُ القرآنَ من مصحفٍ آخر غير الذي بين أيدينا؟؟؟

يقول سماحةُ الشيخ / عبد العزيز بن باز رحمة الله تعالى عليه: فهذا الزعم المذكور باطل بالنصوص من الكتاب والسنة وإجماع العلماء.

أما الكتاب فقوله جل وعلا: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقوله سبحانه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقوله عز وجل في سورة المائدة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾.

[المائدة: ٣]

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وأما السنة فمنها قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والذي نفسي بيده لا يَسْمعُ بي أحدٌ من هذه الأمةِ يهوديٌ ولا نصرانيٌ ثم يموتُ ولم يؤمن بالذي أرسلتُ به إلا كان من أهل النار**»(١).

وفي الصحيحين عن جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**أعطيتُ خمسًا لم يُعطهنَّ أحدٌ من الأنبياء قبلي، ذكر منها: وكان النبيُّ يُبعثُ إلى قومِهِ خاصةً وبُعثتُ إلى الناس عامة**».

ويدلُ على هذا المعنى من القرآن الكريم قوله سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سَبَأ :٢٨].

وقوله عز وجل: ﴿ **وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ** ﴾ [الأنعام :١٩].

وقوله سبحانه: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ ﴾ [إبراهيم :٥٢].

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه».

وقوله -عز وجل- في سورة الأعراف في شأن نبيه محمد ﷺ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

ثم قال سبحانه بعد ذلك: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقد أجمع العلماءُ على أنَّ رسالة رسول الله محمد ﷺ عامة لجميع الثقلين، وأنَّ مَنْ لم يؤمن به ويتبع ما جاء به فهو من أهل النار ومن الكفار سواء كان يهوديًا أو نصرانيًا أو هندوكيًا أو بوذيًا أو شيوعيًا أو غير ذلك.

فالواجبُ على جميع الثقلين من الجن والإنس أن يؤمنوا بالله ورسوله، وأن يعبدوا الله وحده دون ما سواه، وأن يتبعوا رسوله محمدًا ﷺ حتى الموت. وبذلك تحصل لهم

السعادة والنجاة والفوز في الدنيا والآخرة كما تقدم ذلك في الآيات السابقة والحديث الشريف، وكما قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ ﴾ [غافر: ٥١ - ٥٢].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤٠ - ٤١].

وقال -عز وجل- في سورة النور: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ﴾ [النور: ٥٥].

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وجميعُ الديانات المخالفة للإسلام فيها من الشرك والكفر بالله ما يخالف دين الإسلام الذي بعث اللهُ به الرسلَ وأنزل به الكتبَ وبعثَ به محمدًا ﷺ خاتم الأنبياء وأفضلهم.. وفيها عدم الإيمان بمحمد ﷺ وعدم اتباعه، وذلك كاف في كفرهم واستحقاقهم غضب الله وعقابه وحرمانهم من دخول الجنة واستحقاقهم لدخول النار إلا من لم تبلغه دعوة الرسول ﷺ . فهذا أمره إلى الله سبحانه وتعالى والصحيح: أنه يمتحن يوم القيامة، فإن أجاب لما طلب منه دخل الجنة وإن عصا دخل النار، وقد بسط العلامة ابن القيم رحمه الله هذه المسألة وأدلتها في آخر كتابه: طريق الهجرتين تحت عنوان: طبقات المكلفين. فمن أراده فليراجعه ليستفيد منه الفائدة الكبيرة(١). اهـ

ويقولُ شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله تعالى: [وصار كثيرٌ من أهل البدع يعتقدون اعتقادًا هو ضلال، يرونه هو

---

(١) انظر: «مجموع فتاوى ومقالات» (٧/ ٢٩ - ٣٢).

الحق،....... وبإزاء هؤلاء....... أقوامٌ لا يعرفون اعتقاد أهل السنة والجماعة كما يجب، أو يعرفون بعضه ويجهلون بعضه، ولا ينهون عن البدع، ولا يذمون أهل البدع، ولا يعاقبونهم، ويقرون الجميع على مذاهبهم المختلفة كما يقر العلماء في موضع الاجتهاد التي يسوغ فيها النزاع، وكلا هاتين الطريقتين منحرفة خارجة عن الكتاب والسنة][(١)]اهـ

وقوله عن بناء المسجد الأقصى (الأسير) [رزقنا الله تعالى وإياكم صلاة في رحابه] إنَّ الذي بناه هو داود عليه السلام في مكان بيت رجل يهودي!!!!

فـإنْ كـنـتَ لا تـدري فتلك مصيبةٌ

وإنْ كنتَ تـدري فالمصيبة أعظمُ

وأقولُ: (أتركُ التعليقَ على هذا الإفك المبين لمن شم رائحة العلم يومًا ما).

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٤٦٦) بتصرف.

ويقدحُ في سيرة المرسلين، الذين أوحى الله تعالى إليهم، وعصمهم حتى بلغوا رسالاته، وبينوا للناس ما نزل إليهم، فما من خير ينفع الناس في دينهم ودنياهم إلا بينوه ودلو عليه، وما من شر يضر الناس في دينهم ودنياهم إلا حذروا منه ونهو عنه، عليهم جميعًا أفضلُ الصلاة وأتمُ التسليم، كقولهِ في قصة كليم الرحمن المذكورة في سورة البقرة وسورة القصص.......

وقوله عن دعوة النبي ﷺ بأنها كانت تجربة إنسانية، وأنَّه قد اعتراها في كثير من المواقف الفشل.......

وأيضًا ما ذكره عند وصفه لآخر اللحظات التي انتقل بعدها ﷺ إلى الرفيق الأعلى، بما يندى له الجبين، ويثلج صدورَ الأعداءِ المجرمين، وصدم به عمومَ المسلمين.

فيكون بذلك كمن هدم مصرًا ليبني قصرًا، ولكنه قصرٌ من ورق، لا يستطيعُ الصمودَ إذا هبت عليه أدنى نسمة من رياح الإيمان والعقيدة الصحيحة.

وآخر على شاكلته من أصحاب الشعبية الجارفة يُنكرُ ما دل عليه القرآنُ الكريم والسنة النبوية صراحة وهو لعن اليهود والنصارى مع أنَّ الله تعالى ذكر هذا في القرآن الكريم في أكثر من آية محكمة فقال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٦٠].

وقال جلَّ وعلا: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨].

وثبت في الصحيحين عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ

رسول الله ﷺ قال: «**لعنةُ الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

فبعد هذه النصوص الواضحة الصريحة القاطعة، إليك أخي القارئ نص ما قاله هذا الزاعمُ فيقول: أنا تأملتُ في تعامل النبي ﷺ مع هذه الأديان تعامل فيه احترام فيه رقي، فيه أدب، فيه استعداد للتفاهم والدليل والبرهان، بل فيه تركيز على نقاط الاتفاق، اقرؤوا القرآن وارجعوا إليه كم يمدح القرآن النصارى وكم يقول:

«وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ» إحنا.. اللهم العن اليهود والنصارى من أين جاءت هذه: اللهم العن اليهود والنصارى، هل جاء بها الرسولُ ﷺ يومًا؟ ألا يجوز عندنا في الشرع أن يتزوج الرجلُ نصرانية أو يهودية؟ تخيل هذه النصرانية أو اليهودية واحد متزوجها وساكنة جنب المسجد وتسمع الشيخ: اللهم العن اليهود والنصارى إيش المهزلة هذه؟ لا ما يُتعامل بهذه الصورة مع الأديان. اهـ

تعليق غاية في الأهمية:

قبل أنْ أنقل لحضراتكم طرفًا من كلام العلماء عليهم جميعًا رحمة الله تعالى فيمن جحد حكمًا أو أنكر نصًا أو حتى حرفًا من كتاب الله جل في علاه، أودُ أنْ أعلق أولًا على قوله (الأديان) فأقولُ: هذه الكلمة دائمًا يرددها أمثالُ هؤلاء، وهي كلمة خاطئة تمامًا في الاستدلال، فالدينُ واحدٌ فقط وهو دينُ الإسلام الذي لا يَقبَلُ الله تعالى سواه من جميع الأنام، يقول سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

أما الذي جاء به رسلُ الله صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين إنما هي شرائع، قال جل في علاه: ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا ﴾ [المائدة: ٤٨].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «...... **والأنبياءُ إخوة لعَلاَّت، أمهاتُهم شتَّى ودينُهم واحد**» وهذا لفظ البخاري.

وبعد هذا التعليق أسوقُ طرفًا من كلام الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ومن كلام أهل العلم الثقات في هذه المسألة المتعلقة بحكم مَنْ جحد حكمًا أو أنكر نصًا أو حتى حرفًا من كتاب الله تعالى: فعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: [مَنْ كفر بحرفٍ واحدٍ منه فقد كفر به أجمع](١).

وقال الإمامُ المبارك عبدُ الله بن المبارك رحمة الله تعالى عليه:

[مَنْ كفر بحرفٍ من القرآن فقد كفر، ومَنْ قال لا أؤمن بهذه اللام فقد كفر](٢).

(١) انظر: «شرح أصول الاعتقاد» للحافظ اللالكائي (٢/ ٢٣٢).
(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤/ ١٨٢).

وقال الإمامُ ابن بطة رحمة الله تعالى عليه: [مَنْ كذَّب بآيةٍ أو بحرفٍ من القرآن، أو رد شيئًا مما جاء به الرسولُ ﷺ فهو كافرٌ][١].

وقال الإمامُ النووي رحمة الله تعالى عليه: [وأجمعوا على أنَّ مَنْ جحد منه حرفًا مما أجمع عليه أو زاد حرفًا لم يقرأ به أحدٌ وهو عالمٌ بذلك فهو كافر، قال الإمامُ الحافظ أبو الفضل القاضي عياض رحمه الله: اعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف أو بشيءٍ منه، أو سبهما أو جحد حرفًا منه، أو كذَّب بشيء مما صرح به فيه من حكم أو خبر، أو أثبت ما نفاه، أو نفى ما أثبته وهو عالم بذلك، أو يشك في شيءٍ من ذلك فهو كافرٌ بإجماع المسلمين][٢] اهـ

(١) انظر: «الإبانة الصغرى» ص [٢٠١].

(٢) انظر: «التبيان في آداب حملة القرآن» ص[٧٧].

تنبيه غاية في الأهمية:

يجبُ أنْ تعلم أخي القارئ الكريم -وفقنا الله تعالى وإياك- إلى سلوك الطريق المستقيم واتباع هدي إمام المتقين وقدوة المؤمنين وحجة الله تعالى على الخلق أجمعين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أنَّ الحكم بالكفر هنا إنما هو تكفيرٌ مطلقٌ، يَتناولُ جملتهم ولا يلحقُ أفرادهم إلا بعد قيام الحجة عليه، وكشف جميع شبهه ودحض كافة أوهامه وبيان أنَّ هذا مخالفٌ لما كان عليه الرسولُ ﷺ والصحابة والتابعون.

وهذا الذي ذكرته من كلامهم غيضٌ من فيضٍ من هذا الركام الآسن.

ولا أريدُ ذكرَ المزيد منه لما قرره أهلُ العلم في قولهم: إذا كان الجرح بسبب واحد يكفي، ويحققُ كاملَ المراد، فلا ينبغي التوسع لغير حاجة، وإلى هذا يشيرالحافظ السخاوي رحمة الله عليه بقوله: (لا يجوز التجريح بسببين إذا حصل بواحد، فقال

العزُ بنُ عبدِ السلام في قواعده: إنَّه لا يجوزُ للشاهدِ أن يجرح بذنبين مهما أمكن الاكتفاء بأحدهما، فإنَّ القدح إنما يجوز للضرورة فليقدر بقدرها)[١] اهـ

إخواني الأفاضل وأخواتي الفضليات: أتمنى أن تأخذوا كلامي على عمومه، فليس المراد جماعة بعينها أو شخصًا معينًا، فهذا لا يعنينا وإلا لذكرتُ المقصودَ صراحة، وإن كنتُ اضطررتُ إلى ذكر بعض مقالاتهم، فهو من باب: (ما بالُ أقوام يقولون كذا وكذا- ولا يُسمى القائل).

ونأملُ مراجعة النوع الأول من نوعي النقد في مقدمة الرسالة فإن فيه زيادة إيضاح وبيان.

فالنظر يجبُ أن يكون إلى ما يقوله الشخص ويدعو إليه، وما أهليته في ذلك، ومقومات هذه الدعوة، ومدى تمسكها بالكتاب العزيز والسنة النبوية الصحيحة الصريحة ؟؟؟

(١) انظر: «فتح المغيث» (٣/ ٣٢٥).

والمسلمُ الصادق مع ربه، ومع نفسه عليه خلال بحثه الدائم عن الحق أنْ يرجع إلى أهل الذكر وأصحاب التخصص من العلماء الربانيين والناصحين المخلصين الصادقين قبل أن يتبنى حكمًا أو يتخذ موقفًا معينًا، فهو مسئولٌ عن ذلك أمامَ الله جل وعلا، يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بنونَ إلا من أتى اللهَ بقلبٍ سليم.

ولا نتعصبُ لطائفةٍ على طائفة، بل نوافق كل طائفة على ما معها من الحق، ونخالفها فيما معها من خلاف الحق فإن كل طائفة معها حق وباطل، فالواجب موافقتهم فيما قالوه من الحق ورد ما قالوه من الباطل لا نستثني من ذلك طائفة ولا مقالة، ونرجو من الله أن نحيا على ذلك ونموت عليه ونلقى الله به ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وختامًا أقولُ: هذا ما وفقني الله سبحانه وتعالى في إيراده، وهيأ لي إعداده، وأسألُه تبارك وتعالى لي ولكم ولجميع المسلمين التوفيقَ لما فيه الخير، وأنْ يجنبنا جميعًا كل ما فيه سوء وبلية وشر، وأنْ يجنبنا الفواحش والفتن، ما ظهر منها وما

بطن، وأنْ يبرم لهذه الأمة أمرَ رشدٍ يُعزُ فيه أهلُ الطاعة، ويُذلُ فيه أهلُ المعصية، ويُؤمرُ فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر، كما أسأله سبحانه تعالى أنْ يهيئ لجميع المسلمين من أمرهم رشدًا، وأنْ يرزقنا الهدى والرشاد، فمنه وحدَه التوفيق والسداد، وهو سبحانه وتعالى المسئول أنْ يوفِّقنا والمسلمين جميعًا للفقه في دينه والثبات عليه وأنْ يُصلحَ قلوبنا وأعمالنا، إنه على كل شيءٍ قدير وبالإجابةِ جدير.

وأسأله سبحانه أن ينفعني وإخواني بهذه الكلمات، وحسبي منهم دعوة صالحة أو نصيحة صادقة.

جعلنا الله جل في علاه من الداعين إلى سبيله على بصيرة وهو سبحانه من وراء القصد.. وصلِّ اللهم على نبينا محمدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ رب العالمين

والسلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته

فهرس

تم بحمد الله

المؤلف

الصاحب ساحب

تأليف

خالد بن محمد البحر جاسور